

الشائعات وأثرها السيئ في الأمة !!

وصيته ﷺ
بأهل مصر !!

النور

في خطبة التاريخ للشيخ العريفي :
يحكي عن روائع أم
الدنيا .. بلد الأنبياء

أسس الاستقامة
في منهج
الفكر الإسلامي



دعوة الأمة للاعتصام بالكتاب والسنة



فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاکر الجنیدی

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هیکل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير،

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي، q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

لن يفهم !!

دواء قلوبنا وحسن أخلاقنا في هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يقول: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». ولمجرد أن قالت أم المؤمنين عائشة ليهودي: «عليك السام واللعنة» ؛ وكان قد تفحش على النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: «السام عليك يا محمد»، عاتبها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تكوني فاحشة»، قال لها ذلك مع أنها زوجته وهي مسلمة ، والخصم يهودي ، وهو البادي بالسب!

وفي زمننا هذا بدلاً من أن يتسابق الكثيرون في الإنتاج والإبداع والحضارة، تسابقوا في السب والقذف والفحش، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فيسبون وكله في سبيل الله ! ويقذفون لنصر دينه ! ويتفحشون لإعلاء كلماته! ويتفوهون غلظةً وفظاظةً لترغيب الناس في الشريعة !! حتى صارت أكثر القضايا المرفوعة بتهمة السب والقذف، فانتشرت الكراهية وشاعت الأحقاد، ووقع الصد عن سبيل الله، والشماتة في أوليائه ، والتربص بهم.

يا سادة ! قولوا للناس حسناً ، وأعرضوا عن الجاهلين، وإذا خاطبوكم فقولوا سلاماً ، وتعلموا الذكاء من أحد الأنقياء، علي بن أبي طالب وقد جاءه يهودي يعيره يقول: ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال الإمام: أنتم ما جفّت أقدامكم من ماء البحر بعد إذ نجاكم الله من فرعون ؛ حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة!!

التحرير

تخدم النصارى كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

مفاجأة
كبيرة



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.

ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة . حساب رقم ١٩١٥٩٠/

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد، الرئيس العام
- ٦ كلمة التحرير، رئيس التحرير
- ١٣ باب التفسير، د. عبد العظيم بدوي
- ١٧ باب السنة، د. السيد عبد الحليم
- ٢١ درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار، علي حشيش
- ٢٣ باب الفقه، د. حمدي طه
- ٢٧ باب الأسرة، د. أبو الفتوح عقل
- ٢٩ الآداب الإسلامية، د. سعيد عامر
- ٣٢ دراسات شرعية، متولي البراجيلي
- ٣٦ واحة التوحيد، علاء خضر
- ٣٨ الإسلام يريد السعادة للمسلمين، عبده الأقرق
- ٤٢ حماية جناب التوحيد، معاوية محمد هيك
- ٤٥ باب السيرة، جمال عبد الرحمن
- ٤٨ القصة في كتاب الله، عبد الرزاق السيد عيد
- المؤهلات التي أهلت الصحابة لقيادة البشرية،
- ٥٠ د. أحمد فريد
- ٥٣ باب التراجم، صلاح نجيب الدق
- ٥٧ دراسات قرآنية، مصطفى البصراطي
- ٦٠ منبر الحرمين، الشيخ/ صالح بن حميد
- ٦٣ تحذير الداعية من القصص الواهية، علي حشيش
- ٦٦ الفروع الفقهية عند الرافضة، أسامة سليمان
- المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات
- ٦٨ د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٧٢ مقدمة في فقه النوازل، د. محمد يسري

منفذ البيع

الوحيد بمقر

مجلة التوحيد

الدور السابع

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٢٦ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليب - مصر

الحمد لله الواحد القهار، مالك السماوات والأرض
وما بينهما العزيز الغفار، والصلاة والسلام على النبي
المصطفى المختار، وآله الطيبين الأطهار، وصحابته البررة
الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ونحن لا نزال في بداية عام هجري جديد أوجّه كلمة
صادقة إلى أمتي الإسلامية، داعياً إياها إلى ضرورة
الاجتماع على الكتاب والسنة، ونذ البدعة والفرقة،
والناظر في واقع الأمة يجد فرقاً متعددة، وأحزاباً متنافرة،
وطرفاً بدعية، وهذا باب شر مستطير يؤدي إلى ضياع
الأمة وهوانها وضعفها، والفرقة تستلزم تدابراً وانفصاماً
في الصف الواحد، وتقاطعاً وتناحراً في الأمة الواحدة،
ولذلك حذر الإسلام الحنيف من الفرقة، ودعا أتباعه إلى
توحيد الصف وجمع الكلمة؛ لأن التفرق يؤدي إلى التنازع،
والتنازع يؤدي إلى الفشل كما قال تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»
[الأنفال: ٤٦].

الأمر بالجماعة والائتلاف والنهي عن الفرقة والخلاف:

إن من الأصول العظيمة التي قام عليها دين الإسلام:
الأمر بالجماعة والائتلاف والنهي عن الفرقة والخلاف، قال
الله تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» [آل
عمران: ١٠٣].

وقد ذكر الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله بأسانيده
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله
تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) قال: الجماعة، كما
ذكر أقوالاً أخرى منسوبة إلى السلف في معنى «حبل الله»
منها: القرآن، الإخلاص لله وحده، الإسلام. [انظر تفسير
الطبري ٢٢١/٤].

وهذه الأقوال الماثورة عن السلف تدل على شيء مهم ألا
وهو: أن الاعتصام بالقرآن والإخلاص لله وحده، والتمسك
بالإسلام الصحيح الذي جاءنا من عند الله يؤدي إلى
تألف المسلمين واجتماعهم، وتربطهم وتماسك مجتمعهم،
وعدم وقوع الفرقة والخلاف بينهم، وقد فهم ذلك الإمام ابن
كثير رحمه الله فقال في معنى قوله: «ولا تفرقوا» أمرهم
بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، ثم قال: «وقد ضمنت لهم
العصمة عند اتفاقهم من الخطأ؛ كما وردت بذلك الأحاديث
المتعددة أيضاً، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع
ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها
فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين
على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه».
[تفسير ابن كثير ج ١/٥٣٤].

ونفهم من هذا وجوب الاعتصام والاجتماع على القرآن
والسنة، وأن الفرقة والخلاف بسبب البعد عن الجماعة
والوقوع في البدعة والضلالة، وقد ذكر القرطبي رحمه الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لسماك الحنفي: يا

أقتاحية العدد

دعوة الأمة

إلى الاعتصام

بالكتاب والسنة

بقلم / الرئيس العام

د / عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

حنفي الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم المتقدمة عليهم الذين لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: «**وَأَعْتَبُوا** **يَحْيَىٰ اللَّهُ جَيِّمًا وَلَا تَسْرَفُوا**» [آل عمران: ١٠٣] إلى أن قال: «فاوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشئآت الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي وصل لأهل الكتابين». [تفسير القرطبي ٥٢٧/٢].

القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الاجتماع:

وكلام القرطبي رحمه الله هنا في غاية النفاسة؛ حيث ذكر الركيزة والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذا الاجتماع، ألا وهي: الكتاب والسنة اعتقاداً أو عملاً، وأن ذلك سبب في اتفاق الكلمة وانتظام الشئآت، ويظهر للبصير بعد

ذلك أن أي قاعدة أخرى لا تراعي ذلك لن تفلح في جمع الكلمة، وعليه فالدعوات إلى اجتماع الكلمة مع بقاء كل طائفة على ما هي عليه من معتقدات باطلة، وبدع ظاهرة لا يجمع كلمة، ولا يقيم شريعة، وهذا واضح غاية الوضوح، من خلال هذه الشريعة الربانية التي أمر الله فيها أن نلتزم صراطه المستقيم فحسب، وأن ندع السبل المخالفة له، قال الله تعالى:

«**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُ بِهِ لَأَمَلَكُمْ تَنْقُوتَ**» [الأنعام: ١٥٣]، وهذه هي الوصية العاشرة

التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلوها على أمته، وقد أفرده الله صراطه، وهو منهج قويم ظاهر الاستقامة لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، وجمع السبل المخالفة له؛ لأن الحق واحد، ومصدره واحد، والباطل متعدد متشعب وهو كثير، فيشمل الأديان الوضعية الباطلة، والمنسوخة المحرفة، والبدع والشبهات والمعاصي، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن التفرق في صراطه وسبله فإن التفرق في الدين الواحد، وجعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب سبب لإضاعة الدين بترك طلب الحق المنزل فيه، ومدعاة لضعف المتفرقين وذلهم وضيا

حقهم، واتباع لسنن الأمم المتقدمة عليهم الذين اختلفوا وتفرقوا، ولم يتابعوا أنبياءهم فأهلكهم الله تعالى، قال ابن كثير رحمه الله: «أمر المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد. [تفسير ابن كثير ٢٦١/٢].

ثم ساق ابن كثير حديث عبد الله بن مسعود وفيه: «خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)**» [الأنعام: ١٥٣]. والحديث حسنه الألباني في ظلال الجنة (١٧).

وقال في قوله تعالى: **(فَاتَّبِعُوا وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)** [الأنعام: ١٥٣] إنما وحد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها، كما قال تعالى: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ مَنَظَرُهُمْ أَلْظُلُمُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [البقرة: ٢٥٧]، ثم ساق حديث عبادة بن الصامت وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أيكم يباعدني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا: **(قُلْ مَنَّا أَوْلَىٰ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ)** [الأنعام: ١٥١]، حتى فرغ من ثلاث آيات، ثم قال: «ومن وفي بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه». [انظر تفسير ابن كثير ٢٦٣/٢].

وقد ذكر الشوكاني عن ابن عطية أنه قال: «وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلزل ومظنة لسوء المعتقد». [تفسير الشوكاني ١٧٨/٢]. وقال الكيا الهراسي: «في الآية دليل على منع

أفرد الله صراطه، وهو منهج
توحيد ظاهر الاستقامة لا يضل
سالكه، ولا يهتدي تاركه،
وجمع السبل المخالفة له؛ لأن
الحق واحد، ومصدره واحد،
والباطل متعدد متشعب



النظر والرأي، مع وجود النص»، وقال قتادة: اعلّموا أن السبل سبيل واحد، جماعة الهدى، ومصيره الجنة، وأن إبليس ابتدع سبلاً متفرقة، جماعة الضلالة مصيرها إلى النار، كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَنْزِيلُ مِنَ الذِّكْرِ لَا تَنْفَرُوا بِهِ) [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله». [انظر تفسير القاسمي ٢٥٧١/٦].

دين الله وصراته واحد لا يختلف ولا يتعدد

وبهذا يظهر لكل ذي عينين أن دين الله وصراته واحد لا يختلف ولا يتعدد، وأن منهجه رباني، فعبادة الله وتوحيده، وأصول الاعتقاد التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، والأحكام والآداب والسنن والمستحبات؛ كله منصوص عليه صراحة، أو مستنبط وماخوذ من النصوص، فلا حاجة إلى البدع والخرافات، وإذا نزلت بالمسلمين نازلة أو مشكلة عولجت وفق هذا المنهج الرباني - الكتاب والسنة - وهذه ميزة عظيمة اختص الله بها الفرقة الناجية دون غيرهم من أتباع الفرق والضلال، وهي: أن انتسابهم وانتماهم للكتاب والسنة لا غير، وإمامهم ومتبوعهم النبي صلى الله عليه وسلم.

واقع الفرق المنحرفة:

وأما أصحاب الفرقة المنحرفة فرغبوا عن التسميات الشرعية، ومانوا إلى التسميات المحدثه البدعية، ووالوا وعادوا عليها، وهذا خروج عن الصراط المستقيم، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تصويره لواقع هذه الفرق المنحرفة فقال: «وإذا كانت الشهادتان هي أصل الدين وفروعه، وسائر دعائمه وشعبه داخله فيها، فالعبادة متعلقة بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ كَلِمَاتٍ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]، وكذلك علق الأمور بمحبة الله

ورسوله صلى الله عليه وسلم كقوله: «أحب إليكم من الله ورسوله»، وبرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كقوله: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»، وتحكيم الله ورسوله كقوله: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» إلى أن قال: «الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين كالتجند للمجاهدين، والفرقة للعلماء، والفقراء والتصوف للعباد، أما الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام بعينه، أو شيخ، أو ملك، أو متكلم من رؤوس المتكلمة، أو فعل تتميز به طائفة وشعار هذه الفرقة من اللباس من عمام أو غيرها، كما يتعصب قوم للفرقة، كل ذلك من أمور الجاهلية المرفقة بين الأمة، وأهلها خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة، بل دين الله تعالى: أن يكون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه وسخطه، وعطاؤه ومنعه، وموالاته ومعاداته، ونصره وخذلانه». [مجموع الفتاوى ٣٤١-٣٤٣].

ضوابط

الانتساب إلى اسم بعينه:

ويجب أن يعلم بعد هذا أن الأسماء التي يسوغ الانتساب إليها، لا يجوز التعصب لها، ولا امتحان الناس بها، ولا الموالة والمعاداة عليها، وهذا واضح غاية الوضوح في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وأضرب مثالا على ذلك من توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَغَابَ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا (أي ضربه برجله)، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأَخْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ». وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله لهذا الحديث

دين الله تعالى: أن يكون
رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم هو المطاع أمره ونهيه،
المتبوع في محبته ومعصيته،
ورضاه وسخطه، وعطاؤه
ومنعه، وموالاته ومعاداته،
ونصره وخذلانه.

بقوله: «باب ما نُهي عن دعوى الجاهلية» فتح الباري (٥٤٦/٦)، وقال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك دعوى الجاهلية هو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضايا بالأحكام الشرعية» (شرح النووي على مسلم ١٣٧/١٦).

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الحادثة تعليقا جميلا فقال: «وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، ليس من المباح الذي يُقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعة أو معصية أخرى،

ثم - مع هذا - لما دعى كل منهما طائفة منتصرة بها، أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وسماها: دعوى الجاهلية، فإذا كان هذا التداعي في هذه الأسماء، وهذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكيف بالتعصب مطلقا، والتداعي للنسب والإضافات التي هي: إما مباحة أو مكروهة؟ وذلك أن الانتساب إلى الاسم الشرعي، أحسن من الانتساب إلى غيره». [اقتضاء الصراط المستقيم ٢١١/١ - ٢١٤].

لزوم جماعة المسلمين من قواعد الإسلام:

ولذلك فنحن في دعوتنا الله وطريقنا إليه، لا نتعصب ولا نتعصب لاسم أو غيره، وإنما ولأولنا لله وحده ومتابعنا للنبي صلى الله عليه وسلم دون سواه، ومما يهمننا في هذا الشأن وفي هذه المرحلة من تاريخ أمتنا أن نجتمع وننصر الحق وحده الذي جاءنا من عند الله، وألا نخلف عليه، أو نتفرق فيه، وهذا هو الهدى النبوي الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها، فربُّ حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث

خصال لا يغفل عليهن صدر مسلم، إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» (مسند أحمد ١٨٣/٥ وصححه الألباني)، وهذا الحديث فيه أمر صريح بإخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين.

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمه الله أن المراد بلزوم الجماعة لزوم ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحريم. (انظر الرسالة للشافعي/ ٤٧٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

«وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهد، وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه، والحبل يُطلق على العهد وعلى الأمان، وعلى الوصلة وعلى سبب، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور؛ لاستمسكهم بالحبل عند شدائد أمورهم، ويوصلون بها المتفرق، فاستعير الحبل لهذه الأمور، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تفرقوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام». [شرح النووي على مسلم ١١/١٢].

ويلاحظ أن النووي - رحمه الله - اعتبر لزوم جماعة المسلمين من قواعد الإسلام، وهذه حقيقة واضحة في دين الإسلام، وكان عليها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وقد خطب ابن مسعود الناس يوماً فقال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة». [رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٠٨/١].

نسأل الله أن يجمع بين المسلمين على البر والتقوى، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل.

المراد بلزوم الجماعة
لزوم ما جاء عن الله
ورسوله صلى الله
عليه وسلم في التحليل
والتحريم.

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عبده
المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

ففي ظل الظروف التي تمر بها مصر وهي
تعيش حالة من التدني في شتى الميادين، من
التدني الأخلاقي، والتردي الأمني، وحالة من الانقلاط
في المشاعر والأحاسيس، هان فيها الأخ على أخيه!
وانتشرت الفتن والشائعات وتخبط الجميع! وهانت
دماء المصريين على أهلها، بل هانت مصر على أبنائها!
لأنهم قد ابتعدوا عن كتاب ربهم عز وجل، وسنة نبيهم
صلى الله عليه وسلم، وتقاتلوا في البحث عن منصب زائل،
أو سلطة فانية؛ هي أمانة لمن يعرف الأمانة!! سيحاسبه
عليها رب العباد يوم المعاد.

إضافة إلى مع ما تعانيه مصر من حالة اقتصادية
صعبة؛ نتيجة لما تقاسيه البلاد من حالات الفوضى، وحب
الدنيا الزائلة، ولذلك كثيراً ما تظهر علامات الأسى والحزن
على الوجوه!!

ووسط هذه المشاعر المتأججة، كانت هناك حاجة ماسة
ليقف الجميع أمام مسؤوليته؛ ويفكر كل في دوره؛ لأنه من
تراب هذا البلد العظيم الذي نعيش فيه ولا نعرف قدره،
ولا منزلته، ولا تاريخه الإسلامي الذي ارتبط بالأنبياء
والرسل، وبرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وبآل بيته،
وبصحابته الغر الكرام الميامين رضي الله عنهم أجمعين،
وعن أرض مصر وترابها التي احتضنت أكثر من ٣٥٠
صاحباً على أرضها، ودُفِنوا في ترابها، مصر التي قادت
الامة الإسلامية لأكثر من ٢٦٥ عاماً حيث كان مقر الخلافة
في مصر.

لقد كانت الحاجة ملحة وسط هذا الظلام وتشتت
القلوب حول ما يحدث في مصر إلى أن يتحدث التاريخ
عما لا يعرفه الكثيرون عن مصر أم الدنيا من قبل، عن مصر
التي هانت على أهلها في خطبة ذهبية نادرة من عالم دمت
الأخلاق، تفانى في جمع حلقات التاريخ المنسية في غياهب
الظلمات ليذكر بها المصريين، وليقول لهم بكل الحب: هذه
هي مصر العظيمة، وهذا هو تاريخها، يناديكم أن اعتصموا
بِحبل الله واتحدوا، وكونوا مناراً للحكم الإسلامي وللزود
عن الأمة وقضاياها.



خطبة التاريخ
للشيخ العريفي

تحكي

عن روائع

أم الدنيا ..

بلد الأنبياء

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

مصر هي أم البلاد، وهي
موطن المجاهدين والعباد،
قهرت قاهرته الأمم،
ووصلت بركاتها إلى العرب
والعجم.
هي بلاد كريمة التربة،
مؤنسة لذوي الغربة.

فكم لمصر وأهلها من فضائل ومزايا؛ وكم لها من تاريخ في الإسلام وخفايا؛ منذ أن وطئتها أقدام الأنبياء الطاهرين، ومشيت عليها أقدام المرسلين المكرمين، والصحابه المجاهدين.

كسوة الكعبة تصنع بأيدي المصريين،

إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام، فإن عمر -رضي الله عنه- أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة، فصُنعت الكسوة في عهد عمر -رضي الله تعالى عنه- وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك، ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المائة سنة.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين، فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي أبرز ما ينفع الحجاج في علاجهم، يأتون من أقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الدفاع عن فلسطين، و ذكرت الجهاد والمجاهدين، فصلاح الدين أقام بمصر، وكثير من قواده منها، وأبرز المعارك مع اليهود قادها مصريون.

إذا ذكرت المصريين ذكرت أمنا هاجر زوجة إبراهيم -عليه السلام- وهي أم إسماعيل جد رسولنا -عليه الصلاة والسلام-، هي مصرية من القبط، ومارية القبطية زوجة رسولنا الكريم وأم ولده إبراهيم مصرية أيضا، فإذا ذكرت المصريين ذكرت أحوال رسولنا، وأصهار نبينا.

لذا أثرت أن أشرف بالتقديم لها؛ لكي يحتفظ بها كل مسلم؛ يراجع كلماتها، ويقف على روائعها؛ حيث إنها شهادة التاريخ على جُرم كل من هانت عليه مصر، سواء كان من هذا الفصيل أو ذاك؟

وخطبة التاريخ تحكي عن أن من شاهد الأرض وأقطارها، والناس أنواعا وأجناسا، ولم ير مصر ولا أهلها فما رأى الدنيا ولا الناس، هي أم الدنيا، ووطن المجاهدين والعباد، قهرت قاهرته الأمم، ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم، هي بلاد كريمة التربة مؤنسة لذوي الغربة..

خطبة للتاريخ أناشد أهل الخير أن يقوموا بطباعتها في مطويات تُوزع بالملايين، ولوحات تُعلق في المساجد والأماكن العامة والميادين؛ ليتعرف عليها الناس، نفردا اليوم -اعترافا منا بالجميل لهذا العالم الجليل- على صفحات مجلة التوحيد الغراء.

ومع نسائم أمل في الله، ورغبة في ازدهار الأحوال؛ كي تعود مصر بكل ابنائها لتقود العالم الإسلامي، فهي الكلمات الذهبية بين أيديكم للشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن العريفي، استاذ مساعد قسم العقيدة بجامعة الملك سعود بالسعودية. ونسال الله أن يجعل كلماتها برداً وسلاماً على قلوب المصريين.

فضائل مصر

إذا ذكرت المصريين.. ذكرت الكعبة والبيت الحرام:

أيها الإخوة المسلمون: إنها اليوم شهادة، إنها شهادة لبلد الأنبياء، إنها شهادة لمسكن العلماء، إنها رسالة إلى بلد العلم والجهاد، إنني أتحدث اليوم عن أم الدنيا، دعوني اليوم أتحدث عن مصر.

من شاهد الأرض وأقطارها

والناس أنواعا وأجناسا

ولا رأى مصراً ولا أهلها

فما رأى الدنيا ولا الناس

هي أم البلاد، وهي موطن المجاهدين والعباد، قهرت قاهرته الأمم، ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم.

هي بلاد كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة.

﴿١٦﴾ وَنَعَمْ كَانُوا فِيهَا فَتَكِينٍ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْتَيْنَاهَا قَوْمًا
مَّاعِرِينَ [الدخان: ٢٥-٢٨].

إن مصر فيها خزائن الأرض، بشهادة ربنا
-جل وعلا- لما قال عن يوسف -عليه السلام-:
(قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَوِيْطٌ عَلِيمٌ)
[يوسف: ٥٥].

ولم يذكر الله -تعالى- قصة نهر في القرآن
إلا نهر النيل، قال -جل وعلا-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَرْمُوتَ
مُوسَىٰ أَنِ اضْمِصْ فِي ظِلِّكَ فَإِذَا هَفَافٌ عَلَيْهِ فَصَافِيهِ فِي الْيَمِّ)
[القصص: ٧]. قال الكندي: «لا يُعلم بلد في أقطار
الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء،
ولا وصفه الله بمثل هذا الوصف، ولا شهد له
بالكرم، غير مصر».

وصية النبي الكريم بمصر وأهلها:

نعم؛ إنني أتكلم عن مصر، وصلى النبي -صلى
الله عليه وسلم- الأمة كلها بمصر وبأهلها، فقال
-بابي هو وأمي-: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا
بالقبط خيراً؛ فإن لهم ذمة ورحماً»، وفي لفظ: «فإن
لهم ذمة وصهرًا». رواه مسلم.

هاجر، زوجة إبراهيم -عليه السلام-، وهي
أم إسماعيل جد نبينا -عليه الصلاة والسلام-،
مصرية من القبط، ومارية أم ولده إبراهيم مصرية
أيضاً؛ ولذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص
-رضي الله تعالى عنهما-: «قبط مصر هم أحوال
قريش مرتين».

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إنكم
ستفتحون مصر، أحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة
ورحماً». رواه مسلم.

فهي وصية للأمة كلها، فعلى كل من تعامل مع
المصريين أن يحسن إليهم، وأن يكرمهم، وأن يعرف
قدرهم، وأن يقف معهم عند حاجتهم، وأن ينصرهم
عندما يؤذون؛ الهدية إليهم من أفضل الهدايا.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقبط مصر:

ولم يكتفِ الرسول -صلى الله عليه وسلم-
بمدح مصر وأهلها؛ بل أمر بالإحسان حتى إلى
أقباطها، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُ اللَّهُ
فِي قِبْطٍ مِصْرًا فَإِنَّكُمْ سَتُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ
لَكُمْ عُدَّةً وَعَوْناً فِي سَبِيلِ اللَّهِ». رواه الطبراني
وصححه الألباني.

نعم! وكم يسرنا -والله- أن نرى من تآلف
بين مسلمي مصر وبين أقباطها، ونسال الله
-جل وعلا- أن يجمعهم جميعاً على العقيدة
الصحيحة التي بعث الله بها عيسى، وبعث
بها محمداً، وبعث بها جميع الأنبياء -عليهم

لا؛ لن أشهد اليوم لمصر، فما
مثلي يشهد مثلها، بل سأقول
عن كوكبة العصر، وكتيبة
النصر، وإيوان القصر؛
ساتكلم عن أم الحضارة،
ورائدة المهارة، ومنطلق
الجدارة؛ نعم! سأقول عن
أرض العز، وعن بلاد العلم
والقطن والبنز.

لا؛ لن أشهد اليوم لمصر، فما مثلي يشهد
مثلها، بل سأقول عن كوكبة العصر، وكتيبة النصر،
وإيوان القصر؛ ساتكلم عن أم الحضارة، ورائدة
المهارة، ومنطلق الجدارة؛ نعم! سأقول عن أرض
العز، وعن بلاد العلم والقطن والبنز.

ذكر مصري القرآن الكريم:

أيها المسلمون: ذكر الله -تعالى- مصر في
القرآن، وبين الله -جل وعلا- اسمها صريحة في
أربعة مواضع في كتابه تشرifa لها وتكريماً، فقال
الله -جل وعلا-: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ)
[يوسف: ٢١]، وقال -سبحانه-: (ادْخُلُوا مِصْرَ لِيْنِ شَأْنٍ)
[الله: ١١١]، وقال -جل وعلا-: (وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ مُوسَىٰ وَلْيَحْذَرِ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ بِمِصْرَ مِثْرًا)
[يونس: ٨٧]، وحكى -جل وعلا- قول فرعون: (الَيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ)
[الزخرف: ٥١].

ليس هذا فقط؛ بل أشار الله -تعالى- إلى
مصر ولم يصرح باسمها في ثلاثين موضعاً من
القرآن، كقوله -جل وعلا-: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ
غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) [القصص: ١٥]، يعني مصر، وقوله
-جل وعلا-: (وَقَالَ الْكَلْبُ مِّنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنَدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ
يَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) [الأعراف: ١٢٧]، يعنون مصر،
إلى آخر هذه المواضع.

مصر و خزائن الأرض:

إن مصر -أيها الكرام- هي الأرض الطيبة التي
قال الله -تعالى- عنها لما طهرها الله من فرعون
وقومه: (كَرَّمْنَاكَ مِنْ جَنَّتِ وَيُؤْتِيَنَّ) ﴿١٥﴾ وَرُزِقَ وَمَقَامُ كَرِيمٍ

السلام، وهي أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

عظم مساحتها وطيب أرضها

يا أهل مصر، يا أهلي، ويا مشايخي، ويا من أخذنا عنهم الأسانيد في قراءة القرآن، يا أصحابي: إن في أرضكم الوادي المقدس طوى، وفيها الجبل الذي كلم الله -تعالى- فيه موسى -عليه السلام-، وفيها الجبل الذي تجلّى الله -جل وعلا- له فأنهذ نكاً، وهي مَبُوءُ الصديق الذي قال الله -تعالى- عنه: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَثْراً حَقّاً) [يونس: ٩٣].

وفي أرضكم يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «سَبْحَانَ وَجَيْحَانَ وَالْفَرَاتِ وَالنَّيْلِ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

وفي أرض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى -عليه السلام- وأمه، قال -جل وعلا-: (وَبَشِّرْنَا أَيْنَ مَرْيَمَ وَلَمْ نَكُ مَلَكاً وَابْتِغَاهَا بِإِذْنِ رَبِّهِ فَذَا قَوْلُهُ وَمَعْرِيبِ) [المؤمنون: ٥٠].

وعلى أرض مصر ضرب موسى بعضاه الحجر فانفجر الماء منه، وانشق البحر له، فكان كل فرق كالطود العظيم.

إذا أردت القرآن واللغة والفصاحة فانت تسير إلى مصر: نعم، إنها مصر، إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر، إذا أردت اللغة والفصاحة فإليك ستنتهي إلى مصر، إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزماً إلى مصر.

إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر، أشار الله -تعالى- لكبر مصر وأشار لعظم مساحتها فقال -جل وعلا-: (فَأَرْسَلَ رَسُولَهُ فِي النَّبِيِّ حُثَيْرِ) [الشعراء: ٥٣]، وهذا يدل على كثرة مدنها.

ولعظم قدر مصر منذ القدم افتخر الهالك فرعون بأنه يملكها دون غيرها، فقال كما حكى الله -جل وعلا- عنه: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ؟) قال عمرو بن العاص -رحمه الله ورضي عنه-: «ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة»، يعني: ولاية كل بلاد الإسلام في كفة، وولاية مصر في كفة.

مصر أم البلاد وغوث العباد

وقال سعيد بن هلال: «إن مصر أم البلاد، وغوث العباد، إن مصر مصورة في كتب الأوائل وقد مدّت إليها سائر المدن يدها تستطعمها؛ وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان». وقال الجاحظ: «إن أهل مصر يستغنون بما

إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر، فإذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر، وإذا أردت اللغة والفصاحة فإليك ستنتهي إلى مصر، وإذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزماً إلى مصر.

فيها من خيرات عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ما ضرها».

وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء والزهاد والعباد والمجاهدون والأبطال والشجعان، قال أبو الزناد صاحب أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-: «خير سواحكم رباط الإسكندرية».

وقال سفيان بن عيينة يوماً لأحمد بن صالح: «يا مصري: أين تسكن؟»، قال: «الفسطاط»، قال: «فأنت الإسكندرية؛ فإنها كنانة الله، يجعل فيها خير سهامه».

وعند المصريين جامع عمرو بن العاص صاحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وهو أول جامع بني في قارة إفريقيا، وقد ضبط قبلته جماعة من الصحابة قدروا بثمانين صحابي اجتمعوا عنده وقت بنائه وقدروا القبلة فوجهوه إليها.

وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل المشهور، والعلم المنثور، والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر، العلماء فيه متكاثرون، والعباد فيه قائمون، والزوار إليه متوافدون.

قيادتها للأمة الإسلامية

مصر قادت الأمة الإسلامية أكثر من خمس وستين ومائتي سنة، ظلت الخلافة في مصر منذ انقطاع الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا سنة أربع وعشرين وتسعمائة للهجرة.

سحرة فجرة، وصاروا في آخر النهار شهداء
بررة، إنها بلاد الأبطال!

مكانة نساء مصر:

أما نساء مصر فيكفي المصريات فخراً وعزاً
وشرفاً أن سيد الأنبياء محمداً -عليه الصلاة
والسلام- كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده
مارية مصرية؛ ويكفي المصريات فخراً أن ماء
زَمْزَمْ تَفْجَرُ إكراماً لامرأة مصرية، لهاجر ولابنها
إسماعيل؛ ويكفي المصريات فخراً أن هاجر
المصرية لما سعت بين الصفا والمروة خلد الله
فعلها، وأمر الله -تعالى- الأنبياء وسائر الأولياء
والحجاج والمعتمرين أن يسعوا كسعيها.

ويكفي المصريات فخراً أن أم موسى -عليه
السلام- مصرية، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية،
وهي التي قال الله -جل وعلا- عنها: (وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ
لِي غَدَاةً بِبَنِي آلِ فِرْعَوْنَ) [التحریم: ١١].

ويكفي المصريات فخراً أن المرأة الصالحة
التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصرية، وقد
قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «لما كانت الليلة
التي أسري بي فيها وجدت رائحة طيبة، فقلت: ما
هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال: هذه رائحة
ماشطة ابنة فرعون وأولادها».

حسن أخلاق أهلها:

إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً، وأحسنهم
أخلاقاً وأدباً، قال تاج الدين الفزاري: «من أقام في
مصر سنة واحدة وجد في أخلاقه رقة وحسناً».
وقال ابن ظهيرة عن أهل مصر: «حلاوة لسانهم،
ومودتهم للناس، ومحبتهم للغرباء، ولين كلامهم،
وحسن فهمهم للشريعة، مع حسن أصواتهم،
وطيب نغماتهم وشجاءها، وطول أنفاسهم وعلاها؛
فمؤذنهم إليهم الغاية في الطيب، ووعاظهم
ومغنوهم إليهم المنتهى في الإجابة والتطريب؛
ونسائها أرق نساء الدنيا طبعاً، وأحلاهن صورة
ومنطقاً، وأحسنهن شمائل، وأجملهن ذاتاً؛ وما
زلت أسمع قديماً عن الإمام الشافعي -رضي الله
تعالى عنه-، ولم أره منقولا، أنه قال: من لم يتزوج
بمصرية لم يكمل إحسانه».

من سكن من الصحابة رضي الله عنهم أرض مصر:

أيها المسلمون: ولقد سكن مصر بعد فتحها
جماعة من أصحاب سيدي رسول الله -عليه الصلاة
والسلام-، حتى إنه لما أحصى عدد الصحابة الذين
دخلوا مصر أو سكنوا فيها أو زاروها أو حكموها

يكفي المصريات فخراً وعزاً
وشرفاً أن سيد الأنبياء محمداً
كانت جدته هاجر مصرية، وأم
ولده مارية مصرية؛ ويكفي
المصريات فخراً أن ماء زَمْزَمْ
تَفْجَرُ إكراماً لامرأة مصرية،
لهاجر ولابنها إسماعيل؛ ويكفي
المصريات فخراً أن هاجر
المصرية لما سعت بين الصفا
والمروة خلد الله فعلها.

أما أهل مصر فيكفيهم شرفاً وفخراً أن الله
-تعالى- اختار منهم الأنبياء، وجعل الله -تعالى-
الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم، فهذا الخليل
إبراهيم -شيخ الموحدين وأفضل المرسلين وجد
خاتم النبيين- أتى مصر مع زوجته سارة، وتزوج
هاجر المصرية.

وهذا يعقوب -عليه السلام- دخلها مع أبنائه
الأنبياء، وفيها توفوا ودفنوا، وهذا يوسف -عليه
السلام- سكن مصر وحكمها وتوفي ودفن فيها،
وهذان موسى وهارون -عليهما السلام- ولدا
في مصر وعاشا فيها، وهذا يوشع بن نون ولد
في مصر وعاش فيها، وهذا الخضر، وهذا أيوب
-عليهم أفضل الصلاة والسلام- كلهم دخلوا مصر،
ومنهم من مات فيها.

ولقد ضرب الله -تعالى- بابطال مصر أمثلة
في كتابه، فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل
الثابت على الحق الذي قال الله -جل وعلا- عنه:
(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ)
[غافر: ٢٨].

ومن المصريين الرجل المؤمن الذي حذر موسى
-عليه السلام-: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ
يُرْمَى إِلَيْكَ الْمَلَأُ يَا قُتْرِبَةُ إِنَّكَ لَتَقْتُلُونَ فَاتَّخِذْ إِلَيَّ مِنْ
النَّصِيحَةِ) [القصص: ٢٠].

ومن المصريين السحرة الذين ذكر الله -تعالى-
قصتهم لما آمنوا وصدقوا، وكانوا في أول النهار

أو دفنوا في ترابها تعدوا خمسين وثلاثمائة صاحبياً كلهم دخلوا مصر، منهم من جاء رسولا إليها أو حاكماً أو مجاهداً أو معلماً، منهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي السرح، وعبد الله بن عمرو، وكلهم ولي إمارة مصر.

ومنهم: جابر بن عبد الله بن حرام، والزيبر بن العوام، وعبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، وهو آخر صاحب مات بمصر. ثلاثمائة وخمسون صاحباً تَخَيَّرْتُ أبرزهم؛ لكن، كلهم قد سكنوا مصر أو زاروها.

وفي مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-.

الأئمة والأعلام المصريون أثروا الدنيا بعلمهم،

أيها الإخوة المسلمون: إذا تكلّمنا عن مصر فإننا نتكلّم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين، الذي قيل عنه: إنه كان أعلم رجال عصره، ومنهم القارئ «ورش»، فإذا سمعت من يقول: «على قراءة ورش» فاعلم أنه المصري. اليوم؛ أكثر أهل إفريقيا والمغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري.

ومنهم الإمام المحدث عبد الله بن لهيعة، ومنهم الإمام الشافعي، وله طلاب مصريون كثيرون، ومنهم سعيد بن كثير وكان إماماً عالماً، قال عنه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل لما سئل عن مصر، قال: «رأيت في مصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن كثير».

ومنهم عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة، ومنهم الإمام الطحاوي الذي ألف العقيدة الطحاوية التي تدرس اليوم في كل الدنيا، وتدرسها الجامعات هنا في المملكة العربية السعودية، ومنهم الإمام ابن النحاس، ومنهم القاضي عبد الوهاب المالكي، ومنهم شيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لزماً إلى عبد الغني المقدسي، وكان قد خرج من الشام وسكن مصر.

ومنهم الإمام البطل العز بن عبد السلام، ومنهم «ابن خلكان» صاحب وفيات الأعيان، ومنهم القارئ العظيم الإمام «الشاطبي» الذي ألف

إذا تكلّمنا عن مصر فإننا نتكلّم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين، الذي قيل عنه: إنه كان أعلم رجال عصره، ومنهم القارئ «ورش»، فإذا سمعت من يقول: «على قراءة ورش» فاعلم أنه المصري. اليوم؛ أكثر أهل إفريقيا والمغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري.

منظومة في ألف بيت في تلاوة القرآن وقراعته، ثم أخذ المنظومة وطاف حول الكعبة مئات المرات، ثم جعل يدعو الله -تعالى- أثناء طوافه أن يبارك في تلك المنظومة، وقد انتشرت انتشاراً عظيماً.

ومن المصريين مؤلف كتاب الترغيب والترهيب عبد العظيم المنذري، ومن المصريين الإمام القرافي، وهو من أذكى العالم، ومن أئمة الدنيا، ومن أعيان المذهب المالكي، ومن المصريين ابن دقيق العيد، ومنهم خليل المالكي صاحب مختصر خليل الذي يعول عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم، ومنهم ابن هشام النحوي، ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب مجمع الزوائد، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي ألف فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ومنهم محمود العيني الذي ألف عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ومنهم المقرئ، ومنهم صاحب كتاب تفسير الجلالين الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمه بعد ذلك الإمام البيهقي وكلاهما مصري، ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومنهم الإمام الشيخ علي بن أحمد الصعدي العدوي من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-.

من مواقف علماء مصر،

ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عابداً عالماً صالحاً جلس بالأزهر يوماً يعلم طلابه، فلما دخل أحد الولاة، وكان يريد أن يستميل المشايخ لبعض الفتاوى التي يريدها، فقام الطلاب

ومن المصريين الأبطال سلطان المماليك قطز، وهو الذي قاد معركة عين جالوت، ومن المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وفي غيرها من مواقع الجهاد في سبيل الله.

دورها الريادي في الحاضر:

وإذا ذكرت مصر وتاريخها ذكرت العباد والزهاد، ذكرت حيوة بن شريح، وذكرت أبا محمد بن سهل، وكان عابداً صالحاً أمراً بالمعروف، داعياً إلى العقيدة الصحيحة، وكان يذم العبيديين الشيعة الذين حكموا مصر فترة.

وفي مصر -أيها المسلمون- من الأدباء والكتاب والشعراء أعداد لا يستهان بها ممن زاروها أو كانوا من أهلها، فإذا ذكرت وقرأت الشعر الرائد لجميل بثينة، وهو من أفصح الشعراء، فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت الشعر الرائد لكثير عزة فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت شعراً لأبي نواس فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت للشاعر الشهير المتنبي أحمد بن الحسين فاعلم أنه مكث في مصر أربع سنوات.

إنك تتكلم عن بلد عظيم لا يزال فيه أمل لقيادة الأمة، والسير على منهاج أجداده من صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

لا تكاد تجد قارئاً اليوم معه إجازة وسند إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وكان للمصريين عليه يد، فستجده قراً أو حفظ أو ضبط قراءته أو أخذ السند على يد مصري.

ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد، فمدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين؛ بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يجازى أبداً.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يحفظ جميع بلدان المسلمين عامة، وأن يحفظ مصر خاصة، وأسأل الله -تعالى- أن يجمع شملهم. اللهم وُلّ عليهم خيارهم، اللهم اجعل ولايتهم فيمن خافك واتبع رضاك يا رب العالمين.

لفظ «القبط» عند إطلاقها تدل على كل من سكن مصر قديماً سواء كانوا من المسلمين أو النصارى. [التحرير]

ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد، فمدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين؛ بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يجازى أبداً.

خائفين لكثرة الجند ومبجلين لهذا الوالي، فأخذ مصحفاً وجعله في حجره، وأخذ يقرأ القرآن وقد مد رجله، فمر به الوالي فقال: من هذا؟ قالوا: هذا الشيخ أحمد الدردير، قال: فلماذا لم يقيم لما رأيته؟ فقالوا أن يعتذروا له، فحنق عليه هذا الوالي، ثم ذهب الوالي إلى قصره وأخذ صرة أرسلها مع أحد العبيد قال: أعطها ذاك الشيخ الذي كان ماداً رجله لما مررنا به، فلما أقبل إليه ذلك العبد وناولته الصرة علم الشيخ أن ذلك الرجل أراد أن يذله بقبول المال، فنظر إلى هذا الرسول وقال له: «ارجع إلى من أرسلك وقل له: إن الذي يمد رجله لا يمد يديه».

أما أبطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يطول، فكثير من القادة الذين كانوا مع صلاح الدين الأيوبي كانوا مصريين، منهم حسام الدين قائد الأسطول البحري المصري الذي كان شوكة في حلق الفرنجة.

أبطال مصر ردوا الحملة الصليبية:

أيها الناس؛ بل آيتها الدنيا كلها: لن ينسى التاريخ أبداً أبطال مصر الذين ردوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا واستولى على دمياط، فمكن له الأبطال في مصر وأذاقوه سوء العذاب، وأبادوا جيشه المقدّر بعشرات الآلاف، ثم حبسوه في دار ابن لقمان في مدينة المنصورة مقيداً، وولكلوا لحراسه حارساً اسمه صبيح، ثم فدا نفسه بأموال عظيمة كثيرة.



تفسير

سورة الزمر

د. عبد العظيم بدوي

اعداد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام

على من لا نبي بعده..

حسبنا الله ونعم الوكيل

لقد كان المشركون يُخَوِّفُونَ النبي صلى الله عليه وسلم من آلهتهم أن تصفه بسوء، إن لم ينته عن سبها وذمهم علي عبادتها، فقال الله تعالى: (الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) السؤال للقرير: (الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)؟ بلى. فكيف (يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)؟ (وَمَنْ يَعْظُمُونَ) ولا يملكون شيئاً ولا ينفذون ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً (الفرقان: ٣). وكان هذا ديدن المشركين، يُخَوِّفُونَ رَسُلَ اللَّهِ مِنْ آلهَتِهِمْ أَنْ تُصِيبَهُمْ بَسُوءٌ، فَعَلُوا ذَلِكَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (وَكَيْفَ آخِذٌ بِمَا تُشْرِكُونَ) وَلَا تَخَافُوكُمْ أَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ مَأْتِمِرًا بِهِ. عَلَيْكُمْ سَاعَتُنَا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (الأنعام: ٨١)، وفعلوا ذلك مع هود صلى الله

قال الله تعالى: «الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» عِبَادُهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْصَرِّغَةٌ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَتَقَوَّمُ عَمَلُكُمْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْتَخَذَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلَّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنْتَ بِمُكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (٤٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٣) أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٤) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٦)

[الزمر: ٣٦-٤٥].

عليه وسلم: (قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾) **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَانْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا فَكَّرْتُمْ ﴿٥٧﴾ مِنْ دُونِهِ نَكِيدُوهُ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٨﴾** إِنْ يَوَلَّكَ عَلَى اللَّهِ رَقِيٌّ وَوَيْكَرَ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهِ إِنْ رَقِيٌّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [هود: ٥٣-٥٦].

وَوَرِثَ عِبَادُ الْقُبُورِ هَذَا الْخَوْفَ فَخَافُوا أَهْلَ الْقُبُورِ وَخَوْفُوا بِهِمْ، فَمَا نَزَلَ نَسْمَعُ مِنْ يُحْذِرُ دُعَاةَ التَّوْحِيدِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ أَنْ تَمْسُكُهُمْ بِسُوءٍ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا تَدْعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا تَتَذَرُوا لَهُمْ، وَلَا تَذْبَحُوا، قَالَ قَائِلُهُمْ: أَنْتَهُ عَنْ قَوْلِكَ، فَإِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَنْتَقِمُونَ مِنْ عَادَاهُمْ، وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنَ السَّفَةِ، الَّذِي وَرِثَهُ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيُّونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ لِلَّهِ يُعَزِّيزُ ذِي انْتِقَامٍ؟) بَلَى! فَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يَغْلَبُ، وَهُوَ الْقَاهِرُ الَّذِي يَفْهَرُ وَلَا يَفْهَرُ، وَهُوَ الْمُنْتَقِمُ مِمَّنْ كَذَبَ رِسْلَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَوْهُمْ بِالْإِسْتِغْنَاءِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا دَاسَفُونَا أَلْتَمَمْنَا مِنْهُمْ قَابِضًا فَهَنَّمُ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ) [الزخرف: ٥٥-٥٦].

دلائل التوحيد:

(وَلَنْ يَسْأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ):

يُقِيمُ اللَّهُ تَعَالَى الْحُجَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، يَعْبُدُونَهُمْ كَمَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَهُمْ مَعْتَرِفُونَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ (لَا يَخْلُقُونَ) سَيِّئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شَرْكًَا) [الفرقان: ٣]، (قُلْ أَتَأْتِذُنَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الرعد: ١٦]، فَالَّذِي يَجِبُ أَنْ تُعْبَدَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنَّهُ (الَّذِي خَلَقَ) فَهُوَ عَزِيزٌ (٥٦) وَالَّذِي هُوَ بِطَعْمِي وَتَسْمِينِي (٥٧) وَإِلَّا مَرَضَتْ فَهُوَ شَفِيعٌ (٥٨) وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ (٥٩) وَالَّذِي

أَسْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: ٧٨-٨٣]، فَالْخَلْقُ وَالرِّزْقُ، وَالنَّفْعُ وَالضَّرُّ، وَالْعَطَاءُ وَالْمَنْعُ، مِنْ دَلَائِلِ وَجُوبِ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: (قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْفَاطِرِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنْ أُمِرْتُ أَنْ أُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدَ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُسْرِكِينَ) (١١) قُلْ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٢) مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ) [الأنعام: ١٤-١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: (الْحَسْبُ لِلَّهِ الْفَاطِرِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ جَاوِلُ السَّمَاءِ رُسُلًا أَوَّلَ آخِرَةٍ مَتَى وَتِلْكَ وَرِثَةُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَرَادَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْجَعُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهُمَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَخْلُقُ النَّاسَ أَكْثَرًا يَعْلَمُ) اللَّهُ عَلَّمَكَ كُلَّ مِمَّنْ خَلَقَ عَزَّ اللَّهُ بَرِّزْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْزِلْ تُؤْمِنُونَ) (٣) [فاطر: ١-٣].

فلما أقام الحجة على بطلان ألوهية الأصنام والأوثان، وأثبتتها لله الواحد الديان، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل حسبي الله) أي: قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والضرر، قل مُسْتَجْلِبًا كَفَايَتَهُ وَمُسْتَمْطِرًا رَحْمَتَهُ مُسْتَدْفِعًا مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ: (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون): أي عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، سيكفيني ما أهتمني، وما لا أهتم به [تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٤٧٤)] لأنه قاله وقوله الحق: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٣].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: ١٧٣] [أخرجه البخاري ٤٥٣٦].

ولما قامت عليهم الحجة وأصروا واستكبروا استكبارًا، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبرا منهم ومما يعبدون من دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ): أي اعملوا على طريقتكم، وعلى مِلَّتِكُمُ النَّبِيِّ اخترتموها، فَإِنِّي عَامِلٌ عَلَى طَرِيقَتِي وَمِلَّتِي الَّتِي هَدَانِي رَبِّي إِلَيْهَا، كَمَا سَبَقَ فِي أَوَّلِ

السورة: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ دِينِي ١٤) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ١٥) [الزمر: ١١-١٥]، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة ما اخترتموه لأنفسكم واخترتموه، كما قال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقِيَ الدَّارَ) [الرعد: ٤٢]، وقال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: ٢٢٧].

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ، وقد حل بهم العذاب يوم بدر، فقتل منهم سبعون، وأسرى سبعون، (فَأَذَانُ اللَّهِ لِلْغَزَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَلَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٢٦].

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ): يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ أَيَّ مِنْ أَجْلِهِمْ: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مَجْزِي السَّعَادَةِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة: ١٦]، كما قال تعالى: (كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ بِإِذْنِكَ الْخُرُوجَ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْكَاسِدِ) [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَشَاءُ وَيَنْتَظِرُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: ٩].

دلائل البعث:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)، فذكر الله تعالى الموتين: الكبرى وهي الوفاة، والصغرى وهي النوم، وفي الأنعام ذكر الصغرى أولاً ثم الكبرى، فقال تعالى: (هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاسَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦١) وَهُوَ الْغَافِرُ تَوَّابٌ ٦٢) وَرَسُولٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ٦٣) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ٦٤) أَلَا لَهُ الْخُلُوكُ وَهُوَ يُسْمِعُ ٦٥) [الأنعام: ٦١-٦٥].



(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا) [آل عمران: ١٤٥]، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: ٣٤]، (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أَيُّ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ التي لم ينته أجلها بالليل في مَنَامِهَا، فالنوم وفاة، والنوم موت، (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، (وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) لَتَسْتَوْفِي أَجْلَهَا. وهكذا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى النَّوْمَ وَفَاةً، وَسَمَّى الْبَقِيَّةَ بَعْثًا، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأُحْيَا). وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [أخرجه البخاري ٦٣١٢].

(فَمَنْ اهْتَدَىٰ) بِهَدْيِ الْقُرْآنِ (لِنَفْسِهِ) أَيَّ فَإِنَّمَا نَفَعَ ذَلِكَ لَهُ، (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ، وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ، كما قال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ غَنِيٌّ ١) وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢) عَلَيْهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٣) [الزمر: ٧]، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) [أخرجه البخاري ٢٥٧٧].

يبعثهم بعد موتهم.

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؛

ثم يُنكر الله تعالى على المشركين اتخاذهم شفعاء من دونه، فيقول: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفْعَاءَ؟) وهي الأصنام والأوثان التي عبدوها من دون الله، كما قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس: ١٨]، (قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) أي: قل لهم يا نبينا: أتعبدونهم وهم فقراء لا يملكون شيئا، ولا يعقلون شيئا؟! وهل يصلح الفقير أن يُعبد؟! كيف والأصل في العابد أنه يعبد معبوده طمعا فيما عنده، ويشترط في هذا المعبود أن يكون متصفاً بصفات الكمال التي بها يعرف من يعبد، ويعرف حاجته منه، ويكون قادراً

على قضائها وتحقيقها، فهل تصرون على عبادتهم وهذا حالهم: (لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ)؟! (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)، فهو الذي يملكها دون غيره، لأن له ملك السموات والأرض، وكل من فيها مملوك له، (كُلُّ

أَلَمَّا قُنُونِ) [البقرة: ١١٦]، (ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ) فرادى كما خلقتكم، (لَا تَحْزَنُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقُولُ مَتَى شَفَعَةُ وَلَا يُؤَخِّرُ مَتَى عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) [البقرة: ٤٨]، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا

فَرَدًى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَوَكُّمْنَا مَا حَوَّلْتُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفْعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ) [الأنعام: ٩٤].

فالشفاعة لله وحده، بإذن فيها لمن يشاء إكراماً له وإظهاراً لفضله، ويُعين له من يشفع فيهم رحمة بهم، فلا يشفع أحد عند الله بغير إذنه، ولا يشفع إلا فيمن يشاء، قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَقْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: (وَلَا

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ وَهُمْ مِنْ خَائِبِينَ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: (وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ) [سبا: ٢٣].

نفور المشركين من التوحيد

واستبشارهم بالشرك كان سبب هلاكهم؛

(وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ):

لقد أشرنت قلوبهم الشرك، فإذا قبل لهم لا إله إلا الله: (لَوْ أَنَّ دُؤُوسَهُمُ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون: ٥]، كما قال تعالى: (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) [الإسراء: ٤٦]، (وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يعني أنهم يفرحون ويسرون حين يدعو داعي الشرك إلى عبادة الأصنام من دون الله، (إِذِ الْأَعْلَى فِي

أَعْيُنِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْمِعُونَ

١٧) فِي الْجَبَمِ نَدًى فِي النَّارِ

يُسْمِعُونَ ١٨) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ

أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ١٩)

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا

عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُنْ

تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ

الْكَافِرِينَ ٢٠) ذَلِكَمُ

بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

الْأَرْضِ يَقُولُ الَّذِي وَبِمَا كُنْتُمْ

تَمْرَحُونَ ٢١) ادْخُلُوا أَبْوَابَ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلَّسَ

مَتَوًى الْمُسْكِرِينَ) [غافر: ٧٠-٧٦]، (وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

فَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) [فاطر: ٣٧]، قال تعالى: (إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْأَلُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ يَقُولُونَ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ١) قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا أَشْيَاءَ نَحْنُ نَحْمِلُهَا وَأُخْرَىٰ نَحْنُ نَحْمِلُهَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ٢) ذَلِكَمُ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ

اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) [غافر: ١٠-١٢]، يعني وقد

حكم وقضى أنكم منها لا تخرجون.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد

لله رب العالمين.



باب السنة

جاء في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، كلهم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفي حديث أسامة: غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

هذا الحديث الذي رواه إمام أهل الحديث أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري في باب ترجم له: «جامع أوصاف الإسلام» في كتاب: «الإيمان»، والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الأمر الذي ينبغي أن يأخذ به المؤمن فقال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

هذا الحديث انفرد به مسلم عن البخاري، ورواه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي، ولم يرو لسفيان بن عبد الله الثقفي حديثاً آخر في «صحيحه».

وهو حديث قد عُني به كثير من أئمة المسلمين، ومن أصحاب السنن [والحديث أخرجه أحمد (٤١٣/٣)، ومسلم (٤٧/١)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢) والدارمي (٢٧١٣) والنسائي في الكبرى (٤٤٧٨)].

فهو ابن ماجه وأحمد بن حنبل من رواية الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان، ويرويه النسائي وأحمد بن حنبل من طريق أخرى، هي رواية عبد الله بن سفيان عن أبيه، وعندما تتعدد الطرق في الحديث الواحد تختلف أحياناً كثيرة الألفاظ أو الصيغ التي ورد بها ذلك الحديث، كما أن الحديث يختلف من رواية إلى أخرى بما يضم إليه من زيادات، ولذلك عندما نعود إلى رواية الإمام الترمذي نجده بهذا اللفظ، «قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر اعتصم به، قال: قل ربي الله ثم استقم، قال: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ثم قال: هذا» وقد عقب الإمام الترمذي على هذا الحديث بوصفه بكونه حديثاً حسناً صحيحاً. [الترمذي (٢٤١٠)].

وأما النسائي والإمام أحمد فقد روايا

أسس

الاستقامة

في منهج

الفكر

الإسلامي

د. السيد عبد الرحيم

إعداد

عليه وسلم مستوضحين السبيل وطالبيين
منه إما التوجيه أو النصيحة، فقال: «قل
لي في الإسلام أمراً لا أسأل عنه أحداً
بعدك، وقال الثاني: حدثني بأمر
أعتصم به، وقال الثالث: أوصني
يا رسول الله، فهذا يدل على إلحاح
المسلمين الأولين والرعييل الصالح المتقدمين
الذين كانوا عماد هذا الدين وناشريه في
العالم في أطراف المعمورة، كانوا يحرصون على
هذا الهدى الديني الإسلامي، ونحن لا نستطيع
في عجالة أن نأتي بكل ما قيل عن هؤلاء الرواة
الذين ورد عن طريقهم هذا الحديث عند ابن
ماجه والترمذي والنسائي والإمام أحمد، ولكننا
نكتفي بالرجال الذين ذكرهم في إسناده الإمام
مسلم.

ففي حديث الإمام مسلم نجد الراوي الأول هو
هشام بن عروة، الذي يرويه عن أبيه، عن سفيان
بن عبد الله، وهشام هذا هو أبو المنذر ولد سنة
(٦١) وتوفي سنة (١٤٦هـ)، شهد له النقاد بكونه
ثقة مأموناً، غير أن الإمام مالكا رحمه الله لا
يرضاه ووقع التساؤل في عدم رضا الإمام
مالك عنه، فقيل: لكونه كان يتساهل في الرواية
بالعراق، فيرسل عن أبيه ما كان سمعه من غير
أبيه.

وأما عروة بن الزبير بن العوام، فقد كان تابعياً،
ولد سنة (٢٣)، وتوفي سنة (٩٤هـ)، وهو ثقة
مأمون، حافظ لحديث عائشة رضي الله عنها،
فقيه، عده أبو الزناد في الفقهاء السبعة من أهل
المدينة، ووصفه ابن سعد في طبقاته بكونه كان
بحراً لا ينزف لسعة روايته وكثرة علمه، وإفادته
لعامة الناس.

وأما سفيان راوي الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فهو سفيان بن عبد الله الثقفي
أبو عمر، وقيل: أبو عميرة، وهو عامل عمر بن
الخطاب على الطائف، سمع النبي صلى الله
عليه وسلم، وكانت له صحبة، كما روى عن عمر
بن الخطاب أحاديث كثيرة.

وهذا الحديث الذي بين أيدينا يتلخص الرواية
أو موضع البحث في الجملة الأولى مقارنة بما
يساويها ويوازيها في الرواية الثانية؛ لأنه في
رواية مسلم بلفظ: «قل أمنت بالله ثم استقم».

هذا الحديث بصيغة

أخرى تختلف عن الصيغ

الأولى، وهي: «أن رجلاً قال:

يا رسول الله، مرني بأمر في

الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك،

قال: قل: أمنت بالله ثم استقم. قلت: فما أتقي؟

فأومأ إلى لسانه» [مسند أحمد ٣٨٤/٤ رقم
١٩٤٥٠].

وهذان الحديثان يتفقان اتفاقاً كاملاً مع الحديث
الأول الذي رويناه للإمام مسلم.

ولكن حديثاً آخر قريباً من هذا، ورد عن الإمام
علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: يا
رسول الله، أوصني، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: قل: ربي الله ثم استقم، قال: قلت:
ربي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخاطباً علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
ليهتك العلم أبا الحسن. [أخرجه أبو نعيم في
الحلية (٦٥/١)].

وإنما أتينا بهذه الصيغ المختلفة لنتصور مدى
اهتمام المسلمين بأمر دينهم، فهم أقرب الناس
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيشونه
ويتوجهون بتوجيهه، ويعملون بقوله ويقعدون
به في فعله، وتبقى في نفوسهم وساوس
ومخاوف، ويريدون اتقاء الشر من أي طريق
كان، ولذلك يلجأون إلى رسول الله صلى الله

وفي الرواية الثانية عند الترمذي «قل ربي الله ثم استقم»، وكلتا الصيغتين تدلان دلالة واضحة على أن عماد الدين هما هذان الأمران: الأمر الأول هو الإيمان بالله، والأمر الثاني هو الاستقامة، غير أن تفصيل هذا الأمر وبيانها يحتاج إلى تأمل لاختلاف الأئمة العلماء في ذلك، في العصر الأول، عصر الخلفاء الراشدين وما بعده، فإن هذا اللفظ الصغير الذي جمع معان كثيرة يشهد له الإمام مسلم بكونه من جوامع الكلم، حين ترجم له بقوله: «باب جامع في أوصاف الإسلام»، كما يشهد له القاضي عياض رحمه الله بتصريحه بقوله: هذا من جوامع الكلم، وجوامع الكلم هي عبارة عن الالفاظ الدقيقة القليلة التي جاءت لتأدية معان كثيرة، وكانت بذلك تفتح للناس الأبواب مشرعة ليجدوا فيها الحكمة ويتدبروا أحكام هذا الدين.

والحديث: «قل آمنتم بالله ثم استقم»، أو «قل ربي الله ثم استقم» يقوم أولاً على أساس التوحيد وبيانها، وعلى الطاعة لله سبحانه وتعالى فيما أمر به، فإذا جمعنا الطاعة إلى التوحيد، وجدنا أمرين متلازمين متكاملين؛ لأن المؤمن الكامل الموحد لا يكون إلا طائعاً لله، مؤدياً لما طلب منه، قائماً بالواجبات، منتهياً عما نهى عنه الله سبحانه وتعالى ورسوله، وبذلك فإن أطراف الحديث تلتئم، فتكون الرجل الصالح، والرجل المؤمن، والرجل الكامل.

المقصود بالاستقامة أمران:

والاستقامة بهذا المعنى أطلقها العلماء قديماً، والسلف منهم بخاصة على أمرين اثنين، وصفوا بها أعمال القلب، ووصفوا بها أعمال الجوارح، والمقصود من أعمال القلب الذي هو محل الإيقان والإذعان والاعتراف بالخالق والإيمان، ووصف القلب بالاستقامة، أي قيامه على التوحيد.

وأما وصف الجوارح التي هي عبارة عن المصدر لكل أنواع السلوك الإنساني والتعامل البشري فإن الجوارح التي يمكن أن تكون أعمالها خيرة، ويمكن أن تكون غير خيرة، طلب منها أن تكون مستقيمة، فيوصف القلب

بالاستقامة، وتوصف الجوارح بالاستقامة.

دعوة إلى تحقيق هذا المعنى فيهما:

التوحيد حرر الإنسان من هواه ومن عبودية الناس:

والتوحيد حرر الإنسان من نفسه أي من هواه، وحرر الإنسان من غيره، فمكّن له العقل والملكات والقوى، وكلفه وجعله يقبل المسؤولية، ولولا ذلك لكان عبداً منقاداً ذليلاً لا شعور له بأي كرامة.

ثم نجد أن هذا الإيمان الذي طولبنا به، وهذا التوحيد الذي أقرنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يكون صادقاً، ومعنى كونه صادقاً أن الاعتداد بالإيمان لا يكون ثابتاً إلا بشرط ألا يكون نظرياً، صاحبه مقطوع الصلة بالله؛ لأن انقطاع الصلة بين العبد وربّه - وإن كان يدعي الإيمان - إذا كان إيمانه نظرياً لم يمس قلبه ولا يحرك جوارحه ولا يدفعه إلى خير فهو ليس من الإيمان.

ثم نجد أن تنكب الناس هذه الحقيقة، وبعدهم أفراداً وجماعات عن هذا المنهج قد أورتهم أدواء كثيرة، أدواء فردية، وأمراض اجتماعية.

الطاعة:

وأما المعنى الثاني الخاص الذي هو الطاعة والذي أشار إليه عمر بن الخطاب بأن يكون المسلم أو المؤمن ملتزماً بدينه لا يروغ في تطبيق ما طلب منه روغان الثعلب، هذا المعنى يقود إلى الالتزام بالأحكام الشرعية والاستقامة على منهج الله.

ولتحقيق هذه المعاني ورد في القرآن الكريم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوة أصحابه من حوله إلى الأخذ بأسباب الاستقامة، حتى وردت في سورة هود الآية الكريمة: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [هود: ١١٢].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وعن آيات القرآن كلها، فقال: شبيبتني هود وأخواتها، [الترمذي وصححه الألباني].

وإنما جاء هذا الشيب وجاء هذا الإرهاق الذي يحصل للإنسان لورود أوامر متكاملة متتابعة، الأول هو الأمر بالاستقامة، والاستقامة على دين الله كما أمرت أنت ومن معك ومن تاب معك، ثم

«هي درجة فيها كمال الأمور وتمامها، وبها أصول الخيرات وانتظامها، وبدونها يكون السعي خائباً والجهد ضائعاً» ومرة أخرى يصفها أهل المعرفة بقولهم: هي صفة للرجل أو للكامل من الرجال، صفة لأهل الكمال، معناها أو حقيقتها تتمثل في الخروج من المعوقات ومفارقة العادات، والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق.

وما لنا والناس يطلبون الرفعة، وينشدون المعالي، ويريدون الكرامة، فإذا أعطوا هذه الكرامة رضوا، وإذا ما طلب منهم أن يسعوا إلى تحقيق الكرامة بأنفسهم تقاعسوا، ولذلك فرق الناس بين أمرين بين الكرامة التي هي منحة تعطى للإنسان فيرتفع بها قدره وتعلو بها منزلته، وبين الاستقامة التي هي طلب من الله سبحانه وتعالى لعباده بأن يكونوا على الحق، فهذه ينبغي أن يسعى لها الإنسان.

الأسس التي دعا إليها الحديث النبوي الشريف بالنسبة لعملنا، بالنسبة

لتفكيرنا، ولم التفكير؟

قال الله سبحانه وتعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥٣]، فهذا هو الصراط السوي، هذا هو الصراط الذي أمرنا الله باتباعه وهو الصراط المستقيم، وما عدا ذلك فهي منحرجات في الطريق وثنيات في الطريق التي يبتعد بها الإنسان عن المسلك الناجح الرابع.

ونسأل الله الهداية والتوفيق. والحمد لله رب العالمين.

الأمر بعدم التجاوز، عدم تجاوز الحدود التي رسمها الله؛ لأن تجاوز هذه الحدود سماه الله سبحانه وتعالى طغياناً، ونحن ينبغي أن نحذر من الطغيان.

ثم حذر الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وحذر المؤمنين كافة بقوله: (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [هود: ١١٢]، أي لا يقع منكم شيء في هذه الحياة الدنيا إلا على بصر ومرأى من الله سبحانه وتعالى، وهذه الاستقامة أمرها صعب لتعدد متعلقاتها بالنسبة للاستقامة، هي العقائد حيث ينبغي أن يجاهد الإنسان نفسه مجاهدة طويلة، وعلاقتها بالأعمال حتى لا يغير ولا

يبدل ما أمر به الله، ولا ما ارتضاه لعباده، وعلاقتها بالأخلاق حتى يلتزم الحد الوسط الذي وصف به المؤمنين حين جعلهم أمة وسطاً، وذلك ليبتعدوا عن الإفراط والتفريط.

سدوا وقاربوا

هذه المعاني هي التي دعت الرازي في تفسيره إلى القول بأن الاستقامة أمرها صعب، ولا يستطيعها

كثير من الناس، ولذلك قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيما أورده أحمد في مسنده: «سدوا وقاربوا».

ينبغي أن نحرص على التسديد أي تسديد أعمالنا ومقاربة ما أمر به الله حتى لا نكون بعيدين عنه في حالة من الحالات، وقال الحسن رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وعى هذه المعاني وتصورها: «اللهم أنت ربنا ارزقنا الاستقامة».

مزايا الاستقامة:

ومزايا الاستقامة كثيرة، قال القشيري:



درر البحار من ضيف الأحاديث القصار

علي حشيش

إعداد /

الحلقة السادسة

٦٨- «وُزِنَ حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/١٩٥/٦٢١) من حديث ابن عمر مرفوعاً، وفيه محمد بن الحسن العسكري، قال الخطيب: يروي الموضوعات عن الثقات، وهذا الحديث مما صنعت يدها.

٦٩- «مَنْ غَسَلَ مِيتًا فَلْيَبْتَدِئْ بِعَصْرِهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٣/٣٨٨) من حديث ابن سيرين مرسلاً، وفيه أبو المنذر يوسف بن عطية الباهلي الكوفي الوراق، وهو أكذب من البصري، وهو يوسف بن عطية الصفار، كذا في «الميزان» (٤/٤٧٠/٩٨٧٤).

٧٠- «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

الحديث لا أصل له: قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٢٣): «لم أجده مرفوعاً»، وهو من قول سفيان الثوري أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٥٢).

٧١- «شراركم عزابكم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤/٣٨) (ح ٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي متروك، قال ابن عدي في «الكامل» (٣/٤١): «يضع الحديث على الثقات»، وأخرج له هذا الحديث من مناكيره.

٧٢- «صاحب الحاجة أعمى».

الحديث لا أصل له: أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح ٦١١).

وقال: لا أعرفه في المرفوع، وهو من قول أبي سليمان إدريس النابلسي من نظمه.

٧٣- «من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى، ألم تسمع بقول الله عز وجل في حَمَ: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ) [الشورى: ٤٩]، فبدأ بالإناث قبل الذكور».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٤١٧، ٤١٨) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً، وفيه حكيم بن خدام قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٢٠٣) ت (٨٨٢): سمعت أبي يقول: «متروك الحديث»، روى عن

العلاء بن كثير صاحب مكحول.

٧٤- «إذا أراد الله بعبد هَوْنًا أنفق ماله في الطين».

الحديث لا يصح : أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢١٥/٣) ت(٧١٣/٢٨) من حديث أنس مرفوعاً، وفيه زكريا بن يحيى أبو يحيى الوقار مصري، قال ابن عدي : «يضع الحديث».

قلت: هذا الحديث واضعه يقع تحت قسم من أعظم أقسام الوضاعين ضرراً ، قال السيوطي في «التدريب» (١/١٨١): «والوضاعون أقسام بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع؛ أعظمهم ضرراً قوم ينتسبون إلى الزهد وضعوه احتساباً للأمر في زعمهم الفاسد، فقبلت موضوعاتهم ثقةً بهم، وركنوا لهم؛ لما نسبوا إليه من الزهد والصلاح».

اهـ.

وهذا ينطبق تمام الانطباق على أبي يحيى الوقار صاحب هذا الحديث .

٧٥- «اتقوا البرد فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء».

الحديث لا أصل له: أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح١٩) وقال: «لا أعرفه، وأبو الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرًا ولم يثبت أنه مات بالبرد».

٧٦- «القلب بيت الرب».

الحديث لا أصل له : أورده السمهودي في «الموضوعات المشهورات» (ح١٨٨) وقال :

«قال ابن حجر: ليس له أصل في المرفوع».

٧٧- «الجالب مرزوق والمحتر ملعون».

الحديث لا يصح : أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢١٥٣) من حديث عمر مرفوعاً، وفيه علي بن سالم، أورده الإمام الذهبي هذا الحديث في الميزان (٣/١٣٠/٥٨٤٧)، وجعله من مناكيره، وقال البخاري: لا يُتَابَع على حديثه.

٧٨- «التمسوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

الحديث لا يصح : أخرجه الطبراني في الكبير (ح٤٣٧٩) من حديث رافع بن خديج مرفوعاً.

٧٩- «عليّ إمام البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

الحديث لا يصح : أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/١٢٩)، والخطيب في التاريخ (٤/٤٤١)، من حديث جابر مرفوعاً، وفيه أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني قال الذهبي في التلخيص: حديث موضوع، وأحمد كذاب. اهـ.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فهذه كلمات بسيرة في وصف كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

صفة الصلاة:

أي: الكيفية التي تكون عليها. والصلاة كما نعلم هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، والصلاة إما في جماعة، وإما في أفراد.
وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم التي تناولها الفقهاء بالشرح والتحليل تدور على ثلاثة أحاديث بصفة أساسية مع بعض الأحاديث التي تناولت جوانب معينة من صفة صلاته صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان لزاماً على الباحث في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعرف على هذه الأحاديث، وكيف تعامل معها الفقهاء في استنباط الأحكام المتعلقة بالصلاة من أركان وواجبات وسنن.

وإذا كان الأمر كذلك فسوف نبدأ بالحديث عن هذه الأحاديث الثلاثة مبينين من أخرجها من أهل السنن، وأهمية هذه الأحاديث، ثم نبين كيف استنبط منها الفقهاء أحكام الصلاة.

اعلم أن أول حديث يُعد كالعمود في هذا الباب في صفة الصلاة، حديث مالك بن حويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون، فاقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً، فلما ظن أننا قد اشتبهنا أهلنا، أو قد اشتقنا، سالنا عن تركنا بعدنا، فأخبرنا قال: ارجعوا إلى أهليكم، فاقموا فيهم، وعلموهم، ومروهم وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدهم، وليؤمكم أكبركم. [رواه البخاري].

أهمية هذا الحديث:

تكمن أهمية هذا الحديث أن الله عز وجل أمر بالصلاة أمراً إجمالياً في كتابه العزيز في قوله تعالى: (واقموا الصلاة)، وحيث إنه أحالنا على صفة صلاته، فهذا بيان للصلاة الواجبة التي افترضها الله عز وجل علينا، وبما أن المجلل وهو الأمر بالصلاة - الصلاة نفسها واجبة - إذا صفة الصلاة واجبة.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

استنبط الفقهاء من هذا أن هذا الحديث أصل في أن جميع أقوال وأفعال الرسول في الصلاة الأصل فيها أنها واجبة؛ لأنها جاءت ببيان لأمر واجب، وهو الأمر بالصلاة، والقاعدة أن ما كان من أفعال



باب الفقه

أحكام الصلاة

صفة صلاة

النبي صلى الله

عليه وسلم



د. حمدي طه

إعداد

أضداده، ولو كان التلبس بالضد واجباً لذكر ذلك على ما قررناه.

فهذه الطرق الثلاث يمكن الاستدلال بها على شيء كثير من المسائل المتعلقة بالصلاة، إلا أن على طالب التحقيق في هذا ثلاث وظائف.

أحدها: أن يجمع طرق هذا الحديث، ويحصي الأمور المذكورة فيه، ويأخذ بالزائد فالزائد؛ فإن الأخذ بالزائد واجب.

وثانيها: إذا قام دليل على أحد أمرين: إما عدم الوجوب أو الوجوب، فالواجب العمل به ما لم يعارضه ما هو أقوى منه، وهذا في باب النفي يجب التحرز فيه أكثر؛ فليُنظر عند التعارض أقوى الدليلين فيعمل به.

وعندنا: أنه إذا استدل على عدم وجوب شيء بعدم ذكره في الحديث، وجاءت صيغة الأمر به في حديث آخر: فالمقدم صيغة الأمر، وأيضاً فالحديث الذي فيه الأمر إثبات لزيادة فيعمل بها. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٦٦).

وقد تعقب العلامة الشوكاني العلامة ابن دقيق العيد في هذه الوظيفة بقوله: وأما قوله: «أنه تقدم صيغة الأمر إذا جاءت في حديث آخر»، واختياره لذلك من دون تفصيل، فنحن لا نوافق، بل نقول: إذا جاءت صيغة أمر قاضية بوجوب زائد على ما في هذا الحديث، فإن كانت متقدمة على تاريخه كان صارفاً لها إلى الذنب؛ لأن اقتضاره صلى الله عليه وسلم في التعليم على غيرها وتركها لها من أعظم المشعرات بعدم وجوب ما تضمنته؛ لما تقرر من أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وإن كانت متأخرة عنه، فهو غير صالح لصرفها؛ لأن الواجبات الشرعية ما زالت تتجدد وقتاً فوقتاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها في مقام التعليم، والسؤال عن جميع الواجبات واللازم باطل فالملزوم مثله.

وإن كانت صيغة الأمر الواردة بوجوب زيادة على هذا الحديث غير معلومة التقدم عليه ولا التأخر ولا المقارنة، فهذا محل الإشكال ومقام الاحتمال، والأصل عدم الوجوب والبراءة منه حتى يقوم دليل يوجب الانتقال عن الأصل والبراءة، ولا شك أن الدليل المفيد للزيادة على حديث المسيء إذا التبس بتاريخه محتمل لتقدمه عليه وتأخره فلا ينتهز للاستدلال به على الوجوب، وهذا التفصيل لا بد منه، وترك مراعاته خارج عن الاعتدال إلى حد الإفراط أو التفريط؛ لأن قصر الواجبات على حديث المسيء فقط وإهدار الأدلة الواردة بعده تخيلاً لصلاحيته لصرف كل دليل يرد بعده دالاً على الوجوب سدً لباب التشريع، ورد لما تجدد من واجبات الصلاة، ومنع للشارع من إيجاب شيء منها، وهو باطل لما عرفت من تجدد

النبي صلى الله عليه وسلم بياناً لكتاب الله فهو متم له ويكون حكمه كحكمه، فالأصل أن جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم المنقولة إلينا في بيان كيفية الصلاة واجبة؛ لأن بيان الواجب واجب.

أما الحديث الثاني فهو الحديث الذي يُعرف عند أهل العلم بحديث المسيء في صلاته، وقد ورد هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ورواية رفاعة بن رافع رضي الله عنه، أما حديث أبي هريرة فهو ثابت في الصحيحين، وأما حديث رفاعة بن رافع فهو عند أصحاب السنن أبي داود والترمذي والنسائي، وغيرهم وسيأتي بتمامه.

أهمية هذا الحديث:

تكمُن أهمية هذا الحديث فيما يلي:

١- أنه تضمن جملة كبيرة من صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم محكية بقوله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن القول مقدم على الفعل.

٢- أن تعليمه صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته بيان للأمر المجمل في قوله تعالى: (واقيموا الصلاة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وصلوا كما رأيتموني أصلي).

٣- أن كثيراً من أهل العلم جزم بأن واجبات الصلاة هي المذكورة في طرق هذا الحديث.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

يقول العلامة ابن دقيق العيد: تكرر من الفقهاء الاستدلال على وجوب ما ذكر في الحديث، وعدم وجوب ما لم يُذكر فيه، فاما وجوب ما ذكر فيه: فلتعلق الأمر به، وأما عدم وجوب غيره: فليس ذلك لمجرد كون الأصل عدم الوجوب، بل لأمر زائد على ذلك، وهو أن الموضع موضع تعليم وبيان للجاهل، وتعريف لواجبات الصلاة، وذلك يقتضي انحصار الواجبات فيما ذكر، والقاعدة أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ويقوّي مرتبة الحصر: أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ما تعلقت به الإساءة من هذا المصلي، وما لم تتعلق به إساءته من واجبات الصلاة، وهذا يدل على أنه لم يقصر المقصود على ما وقعت فيه الإساءة فقط. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٦٦).

ثم قال العلامة ابن دقيق العيد: فإذا تقرر هذا: فكل موضع اختلف الفقهاء في وجوبه - وكان مذكوراً في هذا الحديث - فلنا أن نتمسك به في وجوبه، وكل موضع اختلفوا في وجوبه ولم يكن مذكوراً في هذا الحديث، فلنا أن نتمسك به في عدم وجوبه؛ لكونه غير مذكور في هذا الحديث على ما تقدم من كونه موضع تعليم، وكل موضع اختلف في تحريمه، فلنا أن نستدل بهذا الحديث على عدم تحريمه؛ لأنه لو حرم لوجب التلبس بضده، فإن النهي عن الشيء أمر باحد

الواجبات في الأوقات.

والقول بوجوب كل ما ورد الأمر به من غير تفصيل، يؤدي إلى إيجاب كل أقوال الصلاة وأفعالها التي ثبتت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من غير فرق بين أن يكون ثبوتها قبل حديث المسيء أو بعده؛ لأنها بيان للأمر القرآني أعني قوله تعالى: «أقيموا الصلاة» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وهو باطل؛ لاستلزامه تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا الكلام في كل دليل يقضي بوجوب أمر خارج عن حديث المسيء ليس بصيغة الأمر كالتوعد على الترك أو الذم لمن لم يفعل. وهكذا يفصل في كل دليل يقتضي عدم وجوب شيء مما اشتمل عليه حديث المسيء أو تحريمه إن فرضنا وجوده [نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٩٥].

وثالثها: أي الوظائف التي أشار إليها ابن دقيق: أن يستمر على طريقة واحدة، ولا يستعمل في مكان ما يتركه في آخر فيتقلب نظره، وأن يستعمل القرائن المعتبرة في ذلك استعمالاً واحداً فإنه قد يقع هذا الاختلاف في النظر في كلام كثير من المتناظرين. وهذا الذي ذكره العلامة ابن دقيق العيد في كيفية الاستدلال قد وافقه كثير من أهل العلم قديماً وحديثاً عليه على جهة الإجمال.

إذا تقرّر هذا فينبغي علينا أن نأخذ بنصيحة ابن دقيق العيد رحمه الله، وأن نذكر حديث المسيء في صلاته بجميع زياداته:

هذا الحديث ورد من رواية اثنين من الصحابة الرواية الأولى عن أبي هريرة أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله جالس في ناحية المسجد، فصلّى، ثم جاء فسلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام فارجع فصلّى؛ فإنك لم تصل، فارجع فصلّى كما صلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام فارجع فصلّى؛ فإنك لم تصل، فقال في الثانية أو في التي بعدها: فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني يا رسول الله فقال: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن،

ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تطمئن قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم ارفع ذلك في صلاتك كلها» [متفق عليه].

والرواية الثانية عن رفاعه بن رافع قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ونحن حوله، إذ دخل رجل كالبديوي فأتى فاستقبل القبلة فصلى ركعتين قريباً من رسول الله فأخف صلاته، وفي رواية: فصلّى صلاة لا يتم ركوعاً ولا سجوداً، فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك، اذهب -وفي رواية ارجع- فصل فإنك لم تصل، وفي رواية: أعد صلاتك فإنك لم تصل، فذهب فصلّى بنحو ما صلى، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق صلاته وجعلنا نرمق صلاته، ولا يدري، وفي رواية: لا ندري ما يعيب منها، فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك اذهب فصل فإنك لم تصل، فأعادها مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: وعليك، فارجع فصل فإنك لم تصل؛ فخاف الناس وكبر عليهم أن يكون من أخف صلاته لم يصل، فقال الرجل يا رسول الله ما أدري ما عبت عليّ من صلاتي، والذي بعثك بالحق، والذي أنزل عليك الكتاب، والذي أكرمك ما أحسن غير هذا، لقد جهدت وحرصت كيف أصنع فارني وعلمني، فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل، إذا قمت تريد الصلاة فتوضأ فاحسن وضوءك، وفي رواية: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، وفي رواية: فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد، وفي رواية أخرى إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء يعني مواضعه كما أمره



الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة، يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يكبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع، ثم يرفع رأسه فيقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض، فيجافي يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه، ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها، ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ويسجد، ثم يقول: الله أكبر، ويرفع، ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها، حتى يرجع كل عظم إلى موضعه، ثم يصنع في الآخر مثل ذلك.

ثم إذا قام من الركعتين، كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، كما كبر عند افتتاح الصلاة، ثم يصنع ذلك في بقية صلاته. حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم آخر رجله، وقعد متوركاً على شقه الأيسر، قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية: قال: فإذا ركع أمكن كفيه من ركبتيه، وفرج بين أصابعه، وهصر ظهره، غير قنّع رأسه، ولا صافح بخصاه، وقال: فإذا قعد في الركعتين، قعد على بطن قدمه اليسرى، ونصب اليمنى، فإذا كان في الرابعة أفضى بوركه اليسرى إلى الأرض، وأخرج قدميه من ناحية واحدة.

وفي رواية أخرى: قال: «إذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما، واستقبل باطراف أصابعه القبلة».

وفي رواية قال: «ثم رفع رأسه: يعني من الركوع». فقال: سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ورفع يديه». [أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي].

أهمية الحديث:

يعتبر حديث أبي حميد الساعدي هو أشمل الأحاديث التي وردت في وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيظهر هذا عند الاحتجاج به على الكثير من أفعال الصلاة.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

يستدل بما ورد في هذا الحديث على سنن الصلاة في القدر الزائد عن حديث المسيء صلاته بناء على ما قرئناه من أن ما ورد من أعمال الصلاة ولم يذكر في حديث المسيء يكون مستحباً. ونكتفي بهذا القدر في هذا العدد على أن نبداً في العدد القادم - إن شاء الله - في بيان الوصف العملي لصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

والله من وراء القصد.

الله عز و جل، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم تشهد، وأقم فإذا قمت فتوجهت إلى القبلة، فكبر، وفي رواية أخرى: ثم يقول: الله أكبر، ثم اقرأ بأم الكتاب، وبما شاء الله أن تقرأ - وفي رواية - ويحمد الله عز و جل ويثني عليه ويمجده، فإن كان معك قرآن فاقرا - وفي رواية أخرى ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن - وإلا فاحمد الله وكبره وهله - ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي - وفي رواية فضع راحتك على ركبتيك، وفي رواية: بين أصابعك، وامد ظهرك - وفي رواية أخرى: ثم أندب ظهرك ومكن لركوعك، ثم يقول سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائماً حتى ترجع العظام إلى مفاصلها، وفي رواية: حتى يقيم ضلبي فيأخذ كل عضو مأخذه، ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى يمكن جبهته من الأرض، وتسترخي حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه حتى يستوي قاعداً، ثم يقول الله أكبر، ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيكبر - وفي رواية ثم يرفع رأسه حتى يستوي قاعداً على مقعده، ويقيم ضلبي - ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى يمكن وجهه وفي رواية جبهته من الأرض ويسترخي حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيكبر - وفي رواية «إذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن وافترش فخذك اليسرى ثم تشهد ثم إذا قمت فمثل ذلك حتى تفرغ من صلاتك» - وفي رواية أخرى فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته -.

وفي رواية: لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك، وفي رواية: وكان أهون عليهم من الأولى: أنه من انتقض من ذلك شيئاً انتقض من صلاته ولم تذهب كلها.

وحديث رفاعة أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وقد ذكرت الرواية في سياق واحد مع الزيادات الصحيحة الواردة في الروايات المتعددة للحديث حتى نجمع كل ما ورد في صفة تعليمه صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته. [أخرجه الطبراني (٣٩/٥)، رقم (٤٥٢٨)، والحديث أصله عند أبي داود (٢٢٧/١)، رقم (٨٦٠)، والبيهقي (١٣٣/٢)، رقم (٢٦٢٥)، وحسنه الألباني].

الحديث الثالث:

عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو قتادة. قال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: فليقل، فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة، قال: بلى، قالوا: فأعرض، قال: كان رسول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بيّنا في مقال سابق دور الوالدين قبيل انتقال ابنتهما إلى بيت الزوجية وما ينبغي أن يُبذل لها من النصّح والتوجيه بما يكفل لها حياة زوجية سعيدة، ونود أن نوّكد هنا أن دور الأسرة لا يتوقف بانتقال ابنتهما إلى بيت زوجها؛ حيث تظلّ البنت في أمسّ الحاجة إلى أبويها وأشقائها بما يوفرّون لها من انس ونصح هي أحوج ما تكون إليه وهي تخطو خطواتها الأولى إلى بيت لا تعرفه وقرين لم تالقه.

ولذا كان من المهم أن يُشعروها بوجودهم معها، وقربهم منها حتى يتحقّق لها من الانس ما يبديد مشاعر الوحدة والخوف من العالم الجديد، والمطلوب فقط هو تفقّد أحوالها، وتلمّس أخبارها، وزيارتها باعتدال بما يحقّق الغرض في هذه المرحلة المهمة من حياتها.

ولا ننسى قيمة هذا العمل من قبل الأسرة وما يحدثه ذلك النهج الاجتماعي في نفس زوجها من الارتباط الروحي مع أصهاره، فضلاً عن تقدير واحترام يتولد تلقائياً نحو الزوجة وأهلها؛ شريطة أن تكون هذه الممارسات وذلك التواصل في حدود الاعتدال الذي لا يشكل عبئاً على الزوج وأهله؛ لأن الغرض من كل ذلك أن تشعر الابنة أن أهلها معها ولم ينسوها، وأنهم أقرب إليها عند الحاجة؛ فإن طراً جديداً بين الزوجين في حياتهما بما يستدعي تدخل الوالد -ناصحاً وموجّهاً- في حدود الضرورة أدى كل أب واجبه، بما يتناسب مع الموقف؛ إن رأى أهمية للقيام بهذا الدور الإصلاحي المهم وهو يتعامل معهما بوصفهما ولديه؛ حيث يكون كلاهما في هذه المرحلة في حاجة إلى من يأخذ بيده، وإرشاده إلى طريق السعادة، وتنبيهه إلى مفاتيح الحياة الزوجية الرشيدة.

ونريد أن نقول لوالدها أيضاً: أن يتعامل مع زوج ابنته على أنه ولده، وإنه لكذلك حقاً، ومنذ اليوم الذي جاء ليخطب ابنته، فإذا شعر زوجها فعلاً بدفء العاطفة، وصدق المودة من قبل أبيها وأهلها كان لذلك عظيم الأثر في حسن المعاملة لابنتهم، ووثق الزوج مرجعية ومصداقية أبيها في الحكم والإصلاح بينهما إذا حدث ما يدعو لذلك.



ابنتي في بيت الزوجية

د. أبو الفتوح عقل

إعداد/



بعض ممتلكاته أو كلها، ويخص الذكور بما يملك قبل أن يغادر هذه الدنيا، وهو لا يعلم أنه أقدم على جريمة بشعة أقل آثارها عيش نكد لبناته في بيوت أزواجهن بما تموج به صدورهن من الحزن وقسوة الشعور بالحرمان، وتفضيل البنين على البنات، والعودة بالأسرة إلى حياة الجاهلية، وليعلم من يفعلون ذلك أنهم أسقطوا أسهم بناتهم في بيوت الزوجية؛ حيث يتولد شعور لا يفارقها بالمهانة والظلم والاحتقار من قبل أعز الناس ومصدر عزها ومجدها وفخرها، ومن كانت تستمد من وجوده قريباً منها الأمان والطمأنينة، فإذا به يحرمها عامداً من حقها الشرعي الذي قال الله تعالى فيه: (يُؤَيِّدُكُمُ اللَّهُ فِي أَفْوَاجِكُمْ لِلذَّكْرِ وَمِنَ الْأُنثَى) (النساء: ١١)، وقال: (لَرَجَالٌ تُصِيبُ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) (النساء: ٧)، فإن فعل أحدهم ذلك متوهماً أن البنين أو أحدهم الأقرب إليه نفعاً وهو في سن الحاجة فإن القرآن الكريم يسفه هذا الفهم السقيم فيقول: (مَأْوَئَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا) (النساء: ١١).

والأهم من كل الآثار المترتبة على ذلك الظلم البين هو مخالفة أمر الله تعالى وشرعه الحنيف، ولكن معلوماً لهذا الظالم أن إسقاط حق البنت في تركه أبيها الذي وقع وثيقة الظلم قبل موته - كثيراً ما يترتب عليه إسقاط شأنها في بيت زوجها، وقد يفعل ذلك الظلم والحرمان أشقاؤها أو أحدهم طمعاً واحتقاراً، ألا فليعلم أمثال هؤلاء الظلمة أنهم خانوا الأمانة التي استودعها إياهم أبوه الذي انتقل إلى دار الحق والذي يسره أن يسود العدل حياة أبنائه من بعده، ونقول لهذا الشقيق وإخوته: أكلتم أموال الناس بالباطل، وأطعتم أبناءكم وأزواجكم مالا حراماً، وقطعتم أرحامكم، وازداد عدد أعدائكم، وفي مقدمتهم أبناء شقيقاتكم، وكان المفترض أن تكون أبائهم بعد آبائهم.

ألا فليعقل الجميع نداء رب العالمين في الحديث القدسي: «يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم.

نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

وكم يحلو للزوج أن يعيش متمتعاً بمحبة أصهاره المحبين له، الحريصين عليه وعلى كل ما يعود عليه بالخير، وكم يسره أن يمضي الوقت معهم مشمولاً بعواطفهم واحترامهم له، وكم لذلك من الأثر الطيب في توثيق أواصر المودة مع زوجته؛ حيث الاحترام المتبادل هو لغة التعامل بين الجميع، ونحن لا نخص الوالد فقط ولا الوالدة بهذه المهام، بل إن أشقائها لهم دورهم المهم والمتعم لدور الوالد بما يقدمون لزوج شقيقتهم من أساليب المعاملة الأخوية الراقية؛ بحيث يُشعرونه بأنه واحد منهم، وبحيث يطمئن إلى صدق مودتهم وإخلاصهم له، وبهذا يحيا بينهم واحد منهم سعيداً بهذا الأنس، الذي لم يذق حلاوته قبل مصاهرة هذه الأسرة.

وهنا نقول: ينبغي أن ننمي هذا الوعي الأخلاقي والاجتماعي عند أبنائنا حتى يحسنوا لقاء زوج شقيقتهم، وحتى يجيدوا أساليب التعامل الأخوي؛ حيث يصب ذلك في نهاية الأمر في مصلحة شقيقتهم؛ فكم زيجة فشلت وكان السبب سوء التعامل مع زوج الشقيقة!!

وهنا أيضاً ننبه إلى عدم الإفراط والمبالغة في تدليل وتكريم زوج البنت، فإن ذلك يؤدي إلى تشرب مشاعر الغيرة والحقد عليه من قبل أشقاء بل وشقيقات أختهم.

وهنا أيضاً نقدم النصيحة الذهبية نصيحة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق العدل بين الأبناء حتى في العواطف، ولغة المجاملة والحوار والتشاور؛ فإن الشيطان يغتنم مثل هذه المواقف لينزغ بين أبناء الرجل الواحد. إن من شأن العدل والتوسط في إظهار تلك العواطف تقوية أواصر المحبة بين الأبناء ودوام

التوفيق للوالدين، وإغلاق باب الفتنة أمام الشيطان، وفضلاً عن ذلك سيسود جو من الرضا والارتياح يشمل جميع أفراد الأسرة، ويمتد إلى كريمتهم في بيت زوجها.

وفي هذا المقام نحذر بأشد اللهجات من ممارسات الإقصاء والحرمان التي تستهدف البنات؛ حيث يقدم الأب على حرمانهن من



من الآداب الإسلامية الغيبة وأثرها السيئ في الأمة

د/سعيد عامر

إعداد

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر

الْفَلَنُ إِنَّ بَعْضَ الْفَلَنِ لَمُرٌّ وَلَا تَحَسُّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [الحجرات: ١٢].

قال ابن عباس : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس. وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً.

قال الحافظ: فقد نهى عن الغيبة، وقد فسرهما الشارع كما جاء في الحديث المتقدم، والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «اأذنوا له بثس أخو العشيرة أو ابن العشيرة» [متفق عليه].

وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس ، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم : «أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» [رواه مسلم]. وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها تعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال تعالى : (أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: ١٢] أي : كما

الحلقة الرابعة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تحدثنا من قبل عن: التورع في القول، وحفظ اللسان وكفه عن السخرية، وعن مسئولية الكلمة، ولا يزال الحديث موصولاً :

ولا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا :

مفهوم الغيبة الوقيعية بين الناس؛ لأنها لا تُقال إلا في غيبة ، قال تعالى : (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) [الحجرات: ١٢]، أي لا يتناول رجل أخاه بظهر الغيب بما يسوؤه مما هو فيه، وإن كان كاذباً فهو البهتان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «ذكر أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» [رواه مسلم].

قال الحافظ ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء أكان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. [الفتح: ٤٨٤/١٠].

وهذا مرض من أخطر الأمراض على الفرد والأسرة والمجتمع .. ابتلي به كثير من الناس، ولذلك هو يحتاج إلى علاج مستمر، بل إننا في حاجة ماسة ألا نغفل عن علاجه طرفة عين.

أدلة تحريم الغيبة :

قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنْ

حكم الغيبة والتحذير منها:

قال الإمام القرطبي رحمه الله : لا خلاف أن الغيبة من الكبائر ، وأن من اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلى الله عز وجل.

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله - كل منهما - أي الغيبة والنميمة حرام بالإجماع، وإنما الخلاف في الغيبة هل هي كبيرة أو صغيرة؟ ونُقل الإجماع على أنها كبيرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفة كذا وكذا ، قال بعض الرواة : تعني أنها قصيرة ، فقال : «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته» [أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

وعن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوارثهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضح له ولو في جوف بيته» [الترمذي وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة معاذ بن مالك الأسلمي رضي الله عنه، وقد طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يظهره من الزنا، فلما أمر النبي برجمه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رُجم الكلب.

ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال: «أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار». قالا: غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فما نلتما من أخيكما أنفا أشد أكلا منه والذي نفسي

تكرهون هذا طبعاً، فأكروهوا ذاك شرعاً، فإن عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها. اهـ.

ويشير ابن كثير أن من الحالات التي تجوز فيها الغيبة حالتين :

١- الجرح والتعديل.
٢- النصيحة بشرط أن تكون خالصة لوجه الله تعالى.

يقول الإمام النووي: تُباح الغيبة لغرض شرعي، وذلك لستة أسباب:

أولها: التظلم:
فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان، أو فعل بي كذا.

الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب...

الثالث: الاستفتاء :
بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا...

الرابع: تحذير المسلمين من الشر:
وذلك من وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوناً للشريعة.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته. كالمجاهرة بشرب الخمر، ومصادرة أموال الناس، وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذلك بما يُجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

السادس: التعريف:

فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها، جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقُصاً، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى. اهـ. [صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٤/١٦)].

بيده إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها»
[أبو داود وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» [أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٣٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل - أي غاب عن المجلس - فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تخلل - وهو استعمال الخل لإخراج ما بين الأسنان من الطعام -، فقال: ومم أتخلل؟ وما أكلت لحماً، قال: إنك أكلت لحم أخيك» [رواه الطبراني وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «بينما أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخذ بيدي، ورجل على يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير، بلى، فأيكُم يأتيني بجريدة؟» فاستبقنا فسبقته، فاتيت به بجريدة، فكسرهما نصفين، فالقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، قال: «إنه يهون عليها ما كانتا رطبتين وما

يعذبان إلا في الغيبة والبول» [رواه الإمام أحمد وابن ماجه وصححه الألباني].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مرَّ على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم رجل مسلم» [رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

ولذلك قال بعض السلف: الغيبة ضيافة الفساق.

وعن إبراهيم بن آدم: أنه أضاف رجلاً، فلما قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجلاً، فقال إبراهيم: إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتُم باللحم قبل الخبز.

وسمع علي بن الحسين رجلاً يغتاب آخر، فقال: «إياك والغيبة، فإنهما إدام كلاب الناس».

وقال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده!!

وقد عمل السلف رحمهم الله على محاسبة أنفسهم إذا اغتابوا أحداً من الناس، وهذا ثمرة العلم النافع.

بل إن المغتاب في الحقيقة يقدم حسناته إلى من يغتابه، حتى إن عبد الرحمن بن مهدي قال: «لولا أنني أكره أن يُعصى الله، لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني، أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها!!»

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية بقرية كفر العزازي مركز أبو حماد محافظة الشرقية طبقاً لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ م.

أثر السياق في فهم النص

ضوابط الفروق بين البدعة والمصلحة المرسلة

متولي البراجيلي

اعداد/

الحلقة ٤٥

فالله تعالى لم يتركنا ليختار كل منا طريقة خاصة لعبادته ، بل أنزل كتابه وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لنا ويحدد: كيف نعبد الله تعالى، فما من عبادة إلا وقد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً.

ولزوم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس أمراً اختيارياً، ولكنه حتم وفرض، فرضه الله على عباده، لقوله تعالى: (وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رُسُلُ فَعَلْتُمْ وَمَا تَنْهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ أَعْتَدْتُمْ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْفَرُوا لَكَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧].

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٣٦].

وانظر إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كيف أنكر على بعض التابعين ما يعملونه، مع صدق نياتهم، عندما جاءه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قائلاً له: إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو ؟ فقال : إن عشت ستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلّقوا جلوساً، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصي، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول هلموا مائة، فيهللون مائة، ويقول سبّحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصي نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فانا ضامن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تحدثنا في الحلقة السابقة عن أقسام المصلحة، وشروطها، وعن البدعة، وعن قواعد في البدع، فذكرنا منها ثلاث قواعد، ونستأنف البحث: القاعدة الخامسة : النية الحسنة لا تخرج العمل المحدث عن كونه بدعة:

يحتج البعض بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..» [متفق عليه] بأنه طالما كانت النية خالصة لله تعالى فإن ذلك يؤدي إلى قبول العمل، وليس ذلك بصحيح؛ لأن المقصود بالعمل في الحديث، هو ما ورد في الشرع، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [رواه مسلم].

فهناك شرطان لقبول العمل، هما: ١- أن يكون خالصاً لله، لا تشرك فيه مع الله أحداً.

٢- أن يكون صواباً، أي وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جمعهما الله تعالى في قوله: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّهُ) [الكهف: ١١٠]، وقال الفضيل بن عياض -

يرحمه الله - في تفسير العمل الحسن: أخلصه وأصوبه، ف قيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

فإن من يصلي فيها يقول : إن المسألة خلافية. فهل نجعل ذلك مسوغاً للصلاة فيها ؟ أم نبحث عن الدليل ، وماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها .

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [متفق عليه]. وعن جندب رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». [أخرجه مسلم]. وغير ذلك من الأحاديث التي في الباب .

مسألة: هل النهي يقتضي الفساد؟

وهنا يُثار سؤال: هل النهي يقتضي الفساد؟ بمعنى إذا جاء نص من الكتاب أو السنة بالنهي عن الفعل ، ولم يوجد لذلك النهي ما يصرقه عن دلالة على التحريم، فهل يدل التحريم لذلك الفعل على فساده وبطلانه ، أم لا؟ هذه مسألة خطيرة لأنها تندرج تحتها أحكام كثيرة ، وقد اختلف أهل العلم فيها على مذاهب كثيرة.

فالجمهور على أن النهي يقتضي الفساد، ومن أدلتهم على ذلك :

١- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [متفق عليه].

والرد يعني الإبطال والإفساد، وهذا الحديث قاعدة في إبطال كل عمل على غير وفاق الشرع.

٢- حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا نكاح إلا بولي». [صحيح سنن أبي داود وغيره].

ومن المعلوم أنه لم يرد بذلك نفس الفعل؛ لأن الفعل لا يمكن رفعه، وإنما أراد نفي حكمه، يعني نفي صحة النكاح، فاقترضى ذلك أن الفعل إذا وُجد على الصفة المنهي عنها - وهو النكاح في الحديث - لم يكن له حكم ،

ألا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ! ما أسرع هلكتكم ! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبُلْ، وأنثيته لم تَكُسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتحو باب ضلالة!؟

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لا يبلغه.. [سنن الدارمي وهو في السلسلة الصحيحة ج٢٠٠٥].

فهؤلاء ظنوا أنهم يفعلون الخير، لكنهم أتوا بشرط واحد من شرطي صحة العمل: ألا وهو النية الخالصة لله تعالى ، ولم يحققوا الشرط الثاني: وهو أن تكون العبادة وفق سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الإنكار من ابن مسعود رضي الله عنه يقتضي على حجة المبتدعين الذين يقولون: وأي مانع يمنع من الأذكار والصلوات وغيرها، طالما لا يريد بها العبد إلا التقرب إلى الله تعالى!! فترد عليهم : بأن العبادات مبناها على التوقيف، وينبغي أن تكون مشروعة في أصلها وفي هيئتها وكيفيةها؛ «فالنية الحسنة لا تجعل البدعة سنة».

القاعدة السادسة : اختلاف العلماء في عمل ما ، هل هو بدعة أم لا ، ليس مسوغاً لأن نفعله المكلف بلا تبين :

بل نأخذ بقول من معه الحجة والدليل ، بضوابط الدليل؛ كأن يكون قطعياً، وأن تجمع النصوص الواردة في الباب، وأن تضبط هذا بأقوال أهل العلم وقواعد العلم المتعارف عليها، وغير ذلك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع، وإنما الحجة النص والإجماع، والدليل مستنطب من ذلك ، تُقرر مقدماته بالأدلة الشرعية، لا بأقوال بعض العلماء، فإن أقوال العلماء يُحتج لها بالأدلة الشرعية لا يُحتج بها على الأدلة الشرعية». [مجموع الفتاوى ٢٠٢/٢٦].

مثال ذلك : الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور :

وكان وجوده كعدمه.

٣- والصحابه رضي الله عنهم استدلوا على فساد العقود بالنهي عنها :

من ذلك احتجاج ابن عمر رضي الله عنهما في فساد نكاح المشركات بقوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ) [البقرة: ٢٢١]. وكذلك استدلالهم على

فساد العقود الربوية بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « لا تتبعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق ، ولا البُرَّ بالبُرِّ ، ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح ، إلا سواء بسواء عيناً بعين يدا بيد » . [صحيح مسلم].

فلو كان إطلاق النهي لا يقتضي الفساد ، لم يحتجوا بظاهر الكلام .

كما أن المنهي عنه مفسدته راجحة ، وإن كانت فيه مصلحة فهي مرجوحة بمفسدته ، فما نهى الله عنه وحرّمه إنما أراد منع وقوع الفساد ودفعه ؛ لأن الله إنما ينهى عما لا يحبه ، والله لا يحب الفساد ، فَعُلِمَ أن المنهي عنه فاسد ليس بصالح .

لذا قال شيخ الإسلام : « ولا يوجد قط في شيء من صور النهي صورة ثبتت فيها الصحة بنص ولا إجماع... » . [مجموع الفتاوى ٢٩/٢٨٣].

فإذا كان الجمهور - كما ذكرنا - على أن النهي يقتضي الفساد ، فإن من أهل العلم من فصل فيها كالاتي :

١- الفرق بين النهي عن الشيء لذاته أو لغيره : فالمنهي عنه لذاته يقتضي الفساد ، وهو محرم على أي صورة وقع ، ولا يمكن أن يكون حلالاً ، وذلك كتحریم الخمر والربا .

والمنهي عنه لغيره ، سداً للذريعة ، فهو إن جُرد من الذريعة لم يكن فيه مفسدة ولا يقتضي الفساد ، بمعنى أن أصل الفعل حلال ، وذلك كالنهي عن الصلاة في أوقات النهي ، والصوم يوم العيد .

٢- أن النهي يقتضي الفساد في العبادات دون المعاملات ، باعتبار أن المعاملات فيها حق للأدعي وله الخيار ، فإن شاء أمضى المعاملة وصحت وإن شاء فسخ المعاملة ، فهناك فرق

بين العبادات والمعاملات من وجهين :

أحدهما : أن المقصود من العبادات هو التقرب إلى الله تعالى ، وارتكاب النهي معصية ، فلا يجتمعان ، بخلاف المعاملات ، فإنها ليست للتقرب (وإن كان يؤجر عليها ، خاصة إذا صاحبها نية صالحة) ، فلا يناقضها ارتكاب النهي .

الوجه الثاني : أن فساد المعاملات بالنهي يضر بالناس ، ويفضي إلى قطع معاش الناس أو تقليصها ، فراعى الشرع مصلحتهم ، وعليهم إثم ما ارتكبوا من المنهيات .

أما العبادات : فإنها حق لله تعالى فتعطيلها بإفسادها بسبب النهي لا يُضَرُّ به سبحانه ، بل من أوقعها صحيحة كان مطيعاً ، ومن لم يوقعها بسبب صحيح كان عاصياً .

٣- أن النهي ينقسم إلى ما له جهة واحدة ، كحرمة الزنا والربا ، فهذا لا خلاف أنه يقتضي الفساد ، وإلى ما له جهتان ، هو من إحداها مأمور به ، ومن الجهة الأخرى منهي عنه ، وذلك كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة ، فله جهتان : جهة الأمر بالصلاة ، وجهة النهي عنها في الأرض المغصوبة ، فهل الصلاة تصح في هذه الحالة مع إثم الغصب ، أما أنها تبطل ؟ وهذا ما يسمى « انفكاك الجهة » ، وأكثر أهل العلم على صحة الصلاة مع إثم الغصب .

- دور القرائن في توجيه النهي :

كون النهي يقتضي الفساد مشروط بأن يتجرد النهي عن القرائن ، أما مع وجود القرائن فيختلف الحال ، إذ يقتضي النهي هاهنا ما دلت عليه القرينة .

ومن أمثلة ذلك :

١- حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ، وإن جاء يطلب ثمن الكلب فاملاً كفه تراباً . [صحيح سنن أبي داود].

فأبطل العوض عنه (ثمنه) ، وهذا إبطال للبيع وإفساد ، فالنهي هنا قد اقتضى الفساد بالنص .

٢- حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه

قال: أكلت ثومًا، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني بركة، فلما قمت أقضي وجد ربح الثوم، فقال: «من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها».

قال المغيرة: فلما قضيت الصلاة أتيت، فقلت يا رسول الله، إن لي عذرًا، فناولني يدك، فناولني فوجدته والله سهلاً، فأدخلتها في كمي إلى صدري فوجده معصوبًا، فقال: «إن لك عذرًا». [صحيح سنن أبي داود].

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة في المسجد لمن أكل ثومًا حين شَمَّ رائحة من بعض أصحابه، ولم يرتب على ذلك شيئاً من إعادة صلاة أو غيرها، مع اقتضاء المقام للبيان، فدل ذلك على صحة الصلاة.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تَصْرُوا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر. [متفق عليه].

فمع النهي عن التصرية (وهي حبس اللبن وعدم حلبه لتبدو غزيرة اللبن)، فقد صح البيع حيث جعل للمشتري الخيار بسبب المضرة الحاصلة له وهو الخداع بالتصرية. فيكون الأدق أن نقول: إن مطلق النهي - العاري عن القرائن - يقتضي الفساد.

(انظر العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى ابن الفراء ٢/٤٢٢-٤٤٠، روضة الناظر لابن قدامة ١/٦٠٥، ٦٠٦، المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ١/٨٢-٨٣، معالم أصول الفقه للجيزاني ٤١٤-٤١٦، وتحقيق المراد بأن النهي يقتضي الفساد للعلائي، تيسير علم أصول الفقه للجديع ١/٢٥٥-٢٥٩).

القاعدة السابعة: انتشار عبادة وشيوعها بين الناس ليس دليلاً على مشروعيتها:

فإن المشروعية لا تكون إلا بدليل، فالعبادة لا تؤخذ من كثرة عمل الناس لها وتتابعهم

عليها.

فإن غالب الناس يقلد بعضهم بعضاً دون التحري عن مستندهم في هذا العمل أو تلك العبادة، والحق أن هذه القاعدة من أكثر ما يحتج به العوام والمبتدعة على بدعتهم، فيقولون: إن كل الناس يفعلون ذلك، فهل كل هؤلاء لا يعلمون شيئاً.

واعلم أن الكثرة ليست دليلاً من أدلة صحة العمل، بل إن الله تعالى كثيراً ما ذمّ تلك الكثرة التي تجتمع على ضلال ويقلد بعضهم بعضاً، فقال تعالى: (وَلَنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [الأنعام: ١١٦]، وقال: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [يوسف: ١٠٦].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا ليستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، إذا ترك منها شيء، قيل: تركت السنة؟ قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهب علماءكم، وكثرت قرأؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه غير الدين. [مستدرک الحاكم وغيره، وهو صحيح أشار الشيخ الألباني إلى صحته في صحيح الترغيب والترهيب].

والحديث وإن كان موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، فهو في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا من أمور الغيب التي لا تُقال بالرأي، لاسيما وقد وقع ما في الحديث من تنبؤات.

قال الألباني رحمه الله: وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، فإن كل فقرة من فقراته قد تحققت في العصر الحاضر، ومن ذلك كثرة البدع، واقتتان الناس بها حتى اتخذوها سنة، وجعلوها ديناً يتبع. [قيام رمضان للألباني ١/٥-٦].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله
قواعد ربانية
للمجتمع المسلم

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْبِسُوا كَثِيرًا

مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا

وَلَا يَنْتَبِ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَجِبَ أَحَدُكُمْ أَنْ

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢)

من فضائل الصحابة

عن أبي إسحاق أن رجلاً وقع في عائشة رضي الله عنها وعابها، فقال له عمار: «ويحك ما تريد من حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ما تريد من أم المؤمنين؟ فأننا أشهد أنها زوجته في الجنة» بين يدي عليّ وعليّ ساكت. [مسند أحمد].

حكم

ومواعظ

عن أبي إسحاق القرشي قال: كتب إلي أخي من مكة: «يا أخي! إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر، فتصدق بما بقي من عمرك على الآخرة وهو الأقل» [الزهد للبيهقي].

من نصائح السلف

عن الأوزاعي قال: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.» [شرح السنة لالكاثي]

من معاني الأحاديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة» البردان الغداة والعشي (أي صلاتي الفجر والعصر) وهما الأبردان، وإنما قيل: أبردان لطيب الهواء وبرده في هذين الوقتين. [غريب الحديث للخطابي].

من حكمة الأمثال

احذر أن تكون هذا الجار «بغت جاري ولم أبغ داري» أي: كنت راغباً في الدار، إلا أن جاري أساء جوارتي فبعت الدار. وعن الصقعب بن عمرو قال: «جارُ السوء الذي إن قالولته بهتَكَ، وإن غبت عنه سبتَكَ» [سبعك: اغتابك]. [مجمع الأمثال]

احداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

عن جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر. فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الرّاكب. فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت هذه الرّيح لموت منافق» فلما قدم المدينة، فإذا منافق عظيم من المنافقين، قد مات. [صحيح مسلم].

من هدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم

تحذيره صلى الله عليه وسلم

من الجدال

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِنَيْتٍ فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبِنَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِجًا، وَبِنَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خَلْقَهُ» [أبو داود وحسنه الألباني].

من أخلاق الإسلام

بِرُّ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَتُهُمْ
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَلَّمْتُ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صَلِّي أُمَّكَ» [متفق عليه].

من دعائه

صلى الله عليه وسلم

عن نافع، عن ابن عمر قال: «إن كنا لنعد في المجلس للنبي صلى الله عليه وسلم: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة» [البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«حسبي من سؤالي علمه بحالي». لا أصل له وهو من الإسرائيليات. وهذا خلاف السنة التي فيها الحث الحث علي الطلب والدعاء من الله عز وجل، ويخالف حديث المصطفى: «من لا يدعو الله يغضب عليه». [السلسلة الضعيفة للألباني].

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندراني: «لا أعلم للاحتفال بهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون». [المورد للفكاهاني].



الإسلام يريد الـ

أهل الإسلام على تباعد الأقطار، وتبنائي الديار، واختلاف البقاع والأمصار، أخوة أساسها العقيدة والإيمان، وقاعدتها الدين الخالص للواحد الديان، أخوة متينة البناء لا تنال منها العواصف الهوجاء، وتقضي على العصبية القومية، والفوارق الجنسية، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣].

فهذه الأخوة التي أمرنا بها ليست أخوة نظرية فحسب، ولكنها أخوة عملية عميقة كامنة في النفوس والقلوب، غرسها إخلاص الود، وثمرتها المعاملة الحسنة، كحال سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم -.

وأشهر المؤاخاة: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان لكل أنصاري أخ له من المهاجرين، حتى إن الأنصاري ليذهب بإخيه المهاجر إلى بيته، فيعرض عليه قسمة كل شيء في بيته من مال أو متاع، ويشاركه حياته.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «لما قدمنا المدينة أخی رسول الله صلى الله عليه وسلم بني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر إلى أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟» [البخاري: ٤/٢٨٨/٢٠٤٨].

الحمد لله جعل التآخي سمةً من سمات أهل الإسلام، ولازماً من لوازم الإيمان، وصير عبادةً بعد الفرقة كاشدً وأقوى بنيان، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الصادق الأمين الذي أخی بين المؤمنين، وسعى إلى التآلف بين قلوب المسلمين، فجمع الله به بعد الفرقة، وأغنى به بعد العيلة، وأعز به بعد الذلة، فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، المهاجرين منهم والأنصار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فإن الإسلام يريد لأهله حياة طيبة في الدنيا والآخرة، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا أن تسودهم المحبة، وتنتشر بينهم المودة، حتى يكون المجتمع كله على قلب رجل واحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - وَشَبَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ». [البخاري: ٤٨١، ومسلم: ٢٥٨٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». [البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦].

ومن المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا الحنيف: مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: ١٠]. هذه الأخوة لا تتغير بتغير الأحداث والزمان، ولا تختلف باختلاف القوم والمكان، بل تجمع



سعادة للمسلمين

عبده أحمد الأقرع

إعداد

أوثق عرى الإسلام: أن تحب في الله، وتبغض في الله». [صحيح الجامع: ٢٠٠٩].

ومنها الفوز بكرم الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما أحب عبدٌ عبدًا لله إلا أكرمه الله عز وجل». [صحيح الجامع: ٦٩٣٩].

ومنها: كمال الإيمان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان». [صحيح الجامع: ٦٩٦٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش، وكلتا يدي الله يمين، على منابر من نور، وجوهم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى». [صحيح الترغيب: ٣٠٢٢].

ومنها: المتحابون في الله وجوهم نور: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوهم النور، على منابر اللؤلؤ، يغطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء».

فجئنا أعرابيًّا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، جلهم لنا نعرفهم؟ قال: هم المتحابون

فأي إخاء في الدنيا يعدل هذا الإخاء الإسلامي!!

فحسبهم ثناء الله عليهم بقوله: (وَالَّذِينَ بَوَّءُوا النَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَرُونَ مِنْ حَاجَرِ الْإِيمَانِ وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: ٩].

وإنه لا يزال المجتمع خير ما عرف فيه أفراده حقوق بعضهم تجاه بعض، وسادت بينهم الأخلاق الفاضلة، ومن هذه الحقوق: **أولاً: الحب في الله :**

إن التحاب في الله والأخوة في دينه من أفضل القُرْبَات، منها: ذوق حلاوة الإيمان. وحلاوة الإيمان تفوق كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة في الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حرمها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار». [متفق عليه: البخاري: ٥٨/١، ٥٦، ومسلم: ٤٣].

ومنها : الظفر بحبة الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حبًا لصاحبه». [صحيح الترغيب: ٣٠١٤].

ومنها: أنه أوثق عرى الإسلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن

في الله من قبائل شئى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه». [صحيح الترغيب: ٣٠٢٥].
ومنها: أن يحشر المرء مع من أحب :
عن أنس رضي الله عنه : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟

قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا إني أحب الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل عملهم. [متفق عليه].

هذه الثمرات من الحب ليست كلاماً بلا معني، ولكنها إخاءٌ روحي وتعاقدٌ على الوفاء بتعاليم الإسلام، إخاءٌ خالصٌ لله وودٌ قائمٌ على الإيمان بالله، وترباطٌ بشده حبلى الله ومنة منه سبحانه: (وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَدْعَوْكَ فَاتَّكُ حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالنُّزُومَ) (وَالَّذِينَ قُلُوبُهُمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْتَمَسُوا آيَةً وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِنْ يَنْتَهِبُوا مِنْهُ عَزِيرٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: ٦٢-٦٣].

وهذا الحب كما يكون بين الإخوان والرفاق المتعاضرين فإنه يحمل طابع الاستمرار والبقاء ما بقي الإيمان فلا يقتصر هذا الحب على أبناء الجيل، ولكنه حبٌ الخلف الصالح للسلف الصالح، فتحسُّ الأمة برباطة علوية تجمعها بسلفها وتشدها إليه، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

ثانياً: الإيثارة

وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى، فالمسلم متى رأى مجالاً للإيثارة أثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الإيثارة: فعن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها-

قال سهل لأصحابه: أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة. قال نعم- قالت: نسجتها بيدي فجئت لأخسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسبها فلان، فقال: اكسبها ما أحسنها! قال القوم: ما أحسننا! لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها، ثم سألته وعلمت أنه لا يردها، قال: إني والله ما سألته لألبسه، إنما سألته لتكون كفتي، قال سهل: فكانت كفته. [البخاري: ١١٣/٣، ١١٤].

وقد تأسى الأنصار - رضوان الله عليهم - برسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيثارة، فآثى الله عليهم، ومدحهم، وأنزل الله فيهم قرآناً بئلى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْشَوْنَ مِنْ حَاجِرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي شُؤْرِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْفَوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَعَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩].

وهذه صور تشكّل أنموذجاً حياً لخلق المسلم في الإيثارة وحب الخير، لعل المسلم يُورد عليها خاطره فيعود مشبعاً بروح حب الخير والإيثارة:

أتى أبا هريرة رضي الله عنه رجل، فقال: يا أبا هريرة: إني أريد أن أواخيك في الله، فقال أبو هريرة: وهل تدري ما حق الأخوة؟ قال: لا، عرّفني، قال: إن من حق الأخوة ألا تكون أحق ب درهمك ولا دينارك مني. فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة. قال: فإليك عني. [منهاج المسلم ص ١٣١].

وقال أبو جعفر لأصحابه يوماً: أيدخل أحدكم يده في جيب أخيه فيأخذ من ماله ما يريد؟ قالوا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون. [مختصر منهاج القاصدين: ص ١٠٠].

وقال بعض السلف: ما كنت لأقول لرجل: إني أحبك في الله، فامنعه شيئاً من الدنيا، وقال بعضهم: إني لأستحيي من الله أن أسأل الجنة لأخ من إخواني ثم أبخل عنه دينار أو درهم.

إذن من حق هذه الأخوة، ودلائل صدق المحبة، أن يشعر المسلم أن إخوانه مظاهرون

له في السراء والضراء.

ثالثاً: حب الغير لهم :

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». [البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥].

رابعاً: التواصي بالحق والصبر وأداء النصيحة إليه، وتبيين الطريق له وإعانتة على الخير ودفعه إليه :

قال الله تعالى: (وَالْمَصْرُ ١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ٢ خَسِرٌ ٣ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر: ١-٣].

خامساً: الأدب عن عرض أخيه :

قال صلى الله عليه وسلم: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقاً على الله أن ينعقه من النار». [صحيح الجامع: ٦٢٤٠].
وإلا فإنَّ خذلان المسلم شيء عظيم، وهو - حين يحدث - ذريعة إلى التخاذل بين المسلمين جميعاً، بل إنه لما هان المسلمون أفراداً هانوا أمماً، فوهنت أواصر الأخوة بينهم، بل وصل الحال إلى أن أصبح المسلم يُنتقص أمام أخيه فلا يحرك ساكناً، ولا يزيد على أن يهز كتفه - إن هزهما - ويمضي لشأنه، وكان الأمر لا يعنيه، وهذه الأنانية أفة قاتلة، إذا سيطرت على امرئ أفست عليه دنياه وأخراه.

سادساً: إحسان الظن :

ينبغي أن يسود حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والاطمئنان إلى طوَّبتهم، والثقة بحسن نواياهم، وتغليب جانبِ الصدق في أقوالهم والخير في تصرفاتهم، ما دامت أحوالهم الظاهرة مأمونة، والمساوئ مستورة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من خدعنا بالله انخدعنا له».

وليكن حظُّ أخيك منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه، وهذا من أهمِّ السجايا الحميدة التي ينبغي أن تسود بين أفراد المجتمع المسلم.

سابعاً: من حقوق المسلم على المسلم لين الجانب، وصفاء السريرة وطلاقة الوجه، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه

طلق». [مسلم: ٢٦٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة».

ثامناً: ومن حق المسلم على المسلم دلالتة على الخير، وإعانتة على الطاعة، وتحذيره من المعاصي والمنكرات، وردعه عن الظلم والعدوان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإنَّ ذلك نصره». [صحيح الجامع: ١٥٠٢].

حُكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقبل لأخيه: ألا تقاطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليَّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته؛ أن أخذ بيده، وأتلف له في المعاتبه، وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه!!!

تاسعاً: القيام بالأمر التي تدعو إلى التواد وزيادة الصلة، وأداء الحقوق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصَح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه». [مسلم: ٢١٦٢].

عاشراً: وتكتمل المحبة بين المؤمنين في صورة عجيبة ومحبة صادقة، عندما يكونان متباعدين، وكل منهم يدعو للآخر بظهر الغيب في الحياة وبعد الممات، قال صلى الله عليه وسلم: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك مُوَكَّل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكَّل به: آمين، ولك بمثل ذلك». [صحيح الجامع: ٣٣٨٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة». [صحيح الجامع: ٢٠٢٦].

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

وجعلنا الله من المتحابين فيه، وورقنا محبة المؤمنين والقيام بحقوقهم.

حماية

جناب

التوحيد

الحلقة الثامنة



معاوية محمد هيكمل

اعداد/

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
حماية لجناب التوحيد وصيانة لحماه؛ تحدثنا
في المقال السابق عن صور من الشرك الأصغر في
الأقوال، وفي هذا المقال نتناول الحديث عن الشرك
الأصغر في الأعمال القلبية، فنقول مستعينين بالله
تعالى:

ثانياً: الشرك الأصغر في الأعمال القلبية:

١- التطير:

وهو لغة: مصدر «تطير»، ويسمى «الطيرة»، و«الطير»،
وأصله معرفة الخير والشر بدلالة الطير وهو التشاؤم
بالطيور.

في الاصطلاح: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو
معلوم.

أو هو التشاؤم بالطيور والأشياء والألفاظ والبقاع،
وغيرها. [القول السديد: ص ١١].

مرئي مثل: لو رأى طيراً فتشأع لكونه موحشاً.

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحداً يقول: يا
خاسر مثلاً، فيتشأع.

أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور
أو بعض السنوات. [معارج القبول ٩٩٠/٣، القول
المفيد ص ٤٤٨].

ومعنى ذلك أن يكون الإنسان قد عزم على أمر ما،
فيرى أو يسمع أمراً لا يعجبه؛ فيحمله ذلك على ترك
ما يريد فعله، ويلحق به في الحكم: عكسه وهو أن
يرى أو يسمع أمراً يُسرّ به، فيحمله ذلك على فعل أمرٍ
لم يكن عازماً مع فعله.

التطير بناية التوحيد

والتطير ينافي التوحيد من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله، واعتمد على
غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم
وتخيل، فأى رابطة بين هذا الأمر وما يحدث
له، وهذا لا شك يُخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد

عبادة واستعانة، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» [هود: ١٢٣]، فالطيرة بذلك

محرمة ومنافية للتوحيد، والمتطير لا يخلو

من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة، ويدع العمل،
وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهمّ وغمّ، يخشى من
تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون. وكلا الأمرين نقص
في التوحيد وضرر على العبيد، بل على العبد أن
ينطلق إلى ما يريد بانسراح صدر واعتماد على الله
ولا يسيء الظن بالله عز وجل.

من أمثلة التطير:

ما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفراً زجر أو أثار طيراً، فإن اتجه ذات اليمين استبشر وعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءم، وترك السفر وقد كثر استعمال أهل الجاهلية للطير في هذا الأمر؛ حتى قيل لكل من تشاءم: «تطير».

ومن أمثلة التشاؤم أيضاً: التشاؤم بسماع كلمة لا تعجبه كـ «يا هالك مثلاً» أو بملاقاة عجوز أو صاحب عاهة، أو رؤية غراب، أو بومة في أول سفره أو نهاره؛ فبترك السفر أو يترك البيع والشراء في هذا اليوم. ومن أمثلته أيضاً: التشاؤم ببعض الأرقام كثلاثة عشر، كما يحدث في الوقت الحاضر من بعض أصحاب الفنادق والعمارات فتجد بعضهم لا يضع هذا الرقم في أدوار العمارة أو في المصعد أو في مقاعد الطائرات، وكذلك من يمارسون الرياضة في هذا العصر لا يرتدون الملابس التي تحمل رقم ثلاثة عشر، كل ذلك يفعلونه تشاؤماً بهذا الرقم ورعباً منه. وهذا من أعجب العجب. كما أنه خلل عقدي خطير؛ حيث يساق الناس خلف هذه الأوهام سوقاً عجيباً، وتتحكم فيهم الأرقام تحكماً غريباً في تصرفاتهم وسلوكياتهم كان عقولهم ذهبت وتفكيرهم غاب، فالحمد لله على نعمة التوحيد.

التطير من الشرك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك». [رواه أحمد: ٣٦٨٧، وصححه الشيخ أحمد شاكر].

والسبب في كونه شركاً هو ما يعتقد المتطير من أن ما فعله من التطير سبيل إلى دفع مكروه عنه أو جلب الخير له، مع أنه سبب غير صحيح، وهو من خرافات الجاهلية، ومما يزينه الشيطان في نفوس الجهال، فإذا وقع بعض ما تطيروا به في بعض الأحيان جعلهم الشيطان يتعلقون بهذا التطير ويظنون أنه صحيح، كما أن في هذا التطير نوعاً من الاعتماد على الأسباب في دفع الضر وجلب النفع، فهي أسباب باطلة شرعاً وعقلاً، فهو قد اعتمد على سبب لم يجعله الله سبباً، وتعلق قلبه بهذه الأسباب الباطلة، كما أن التطير اعتماداً على هذه الأمور الباطلة في دعوى معرفة ما سيكون في المستقبل. [التمهيد: ١٩٥/٢٤، ومسلم بشرح النووي ٢١٩/١٣، القول السديد ١١٦]. تنبيه: هذا الحكم إنما هو في حق من اعتقد أن ما تطير به جعله الله علامة على هذا الأمر المكروه أو سبباً في حصوله، أما من اعتقد أن هذا المتشائم به يحدث الشر بنفسه ويفعله استقلالاً أو اعتقد أنه يعلم الذي سيقع في المستقبل ويخبر به، فهذا من الشرك الأكبر. [فيض القدير ٢٩٤/٤، القول المفيد ٥٧٧/١].

دفع إشكال:

أما ما ورد في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس». وفي رواية: «لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث: في المرأة والدار والدابة». [البخاري: ٥٧٥٣]. فالأقرب أن المراد بالشؤم في هذا الحديث ما يكون في بعض أعيان هذه الثلاثة من الضرر المحسوس، كالمرأة السيئة الخلق، والدار الضيقة، أو السيئة الجيران، والفرس السيئة الطباع، ونحو ذلك، كما في الحديث الذي رواه ابن حبان بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء». [صحيح الجامع: ٨٨٧].

وللشيخ حافظ حكمي كلام رائع في هذا الباب، ذكره في معارج القبول (ص ٨٠١، ٨٠٢) هذا نصه: «والشؤم: ضد اليُمن وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة اللسنة المؤذية أو المبيزة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك، كذلك الدار الجدية أو الضيقة أو السيئة الجيران، وكذلك الدابة التي لا تلد أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع، وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية، فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقد له ليس من هذا؛ لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها، فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه، لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمه، بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه، قال الله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٧].

فالمقصود أن الشؤم المثبت في الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد، ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

ما المقصود بالقول وما هي شروطه؟

معنى القول: وهو لفظ مشترك فيما يسوء أو يسُر، فيكون بحيث يفيد المعنيين، إنما الذي يظهره ما يتبعه من وصف له، كان تقول قال حسن، وقال شر. والغالب في القول السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها القول». قالوا: وما القول؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم». [البخاري: ٥٤٤٣].

قال ابن القيم رحمه الله: أخبر صلى الله عليه وسلم أن القول من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن

الغال منها، ولكنه خيرُ منها، ففصل بين الغال والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه الرقي بالشرك وإذنه بالرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة. [مفتاح دار السعادة ص ٥٩٩].

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال: «سَهْلُ الله أكرمكم». [البخاري: ٢٧٣١].

شرط الغال:

ومن شرط الغال ألا يعتمد عليه ولا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال. ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة أخذ الغال من المصحف، فإنه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً، **سَلَامَةً عَلَيْكُمْ** [المائدة: ٦٦].

وما أدري كيف حال من فتح المصحف على قوله تعالى: **«لَمَّا آتَيْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ بَنِيِّ إِسْرَءِيلَ»** [المائدة: ٧٨]. وقوله: **«وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»** [النساء: ٩٣]. وأمثال هذه الآيات.

ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المزوانية، وأنه تفاعل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل: **«وَأَسْتَفْتَحُوا وَكَلَّ كَلَّ جَنَارٍ غَيِّبٍ»** [إبراهيم: ١٥]. فيقال: إنه أحرق المصحف غضباً من ذلك وأنشد أبياتاً سيئة.

والمقصود أن هذه بدعة قبيحة.

والغال إذا قصده المتفائل، فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

وروي في كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». [صححه الإلباني في السلسلة ١٠٦٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك» ثلاثاً: «وما منا إلا، ولكن الله يذهب بالتوكل». [صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٩٨، معارج القبول: ٨٠٢].

وهذه التهمة من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما في سنن الترمذي، والمعنى: وما منا أحد إلا وقد يعتريه التطير، وهذا يدل على أن ما يقع في القلب من التطير من غير قصد من العبد ولم يستقر في القلب فمغفوق عنه، لكن إن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو محرم، ويؤيد هذا حديث معاوية بن الحكم عند مسلم قال: قلت: ومنا رجال يتطيطرون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصذبهم». وفي رواية: «فلا

يصذبكم». [مسلم: ٥٣٧].

فأوضح صلى الله عليه وسلم لأئمة الأمر، وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علة منها، ولئلا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة.. فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد له تأثيراً في الخير أو الشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأي خير عند هذا، لا تصحبني. [مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥]. لا شؤم إلا المعاصي:

بعد أن قرر أن التشاؤم باطل شرعاً وعقلاً، قال الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٧٧): «وفي الجملة فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب؛ فإنها تسخط الله عز وجل، فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله، واليؤمن هو طاعة الله وتقواه.

والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس، وهم أضر من شياطين الجن، قال بعض السلف: شيطان الإنس لا يبرح حتى يوقع في المعصية.

ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الإلباني في صحيح الجامع: ٧٣٤١].

فالمعاصي وهو شؤم على نفسه وعلى غيره؛ فإنه لا يؤمن أن يفرل عليه عذاب، فيعم الناس خصوصاً من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين، فإذا كثر الخبث هلك الناس عموماً.

عافانا الله وإياكم من كل الذنوب والآثام وسائر الآفات، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وصيته صلى الله عليه وسلم بأهل مصر

جمال عبد الرحمن

إعداد

مَذْكُرٌ، وَمَنْ قَرَأَ مِصْرَ بَغَيْرِ أَلْفٍ أَرَادَ مِصْرَ بَعِينَهَا، كَمَا قَالَ: «**أَخْلَوْا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ**» وَلَمْ يُصَرَفْ لِأَنَّهُ اسْمُ الْمَدِينَةِ فَهُوَ مَذْكُورٌ سُمِّيَ بِهِ مُؤَنَّثٌ. [تاج العروس للزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ / ١٤ / ١٢٦].

أصل كلمة الأقباط وماذا تعني

في الصحاح: القبط: أَهْلُ مِصْرَ، واخْتَلَفَ فِي نَسَبِ الْقِبْطِ، فَقِيلَ: هُوَ الْقِبْطُ بْنُ حَامَ بْنِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْمَقْدَمَةِ الْفَاضِلِيَّةِ لِابْنِ الْجَوَانِي النَّسَابَةِ، عِنْدَ ذِكْرِ نَسَبِ الْقِبْطِ مَا نَصَّهُ: وَذَكَرَ أَبُو هَاشِمٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَبَّاسِيُّ الصَّالِحِيُّ النَّسَابَةَ قِبْطُ مِصْرَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: هُمْ وَلَدُ قِبْطَ بْنِ مِصْرَ بْنِ قُوطَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ، وَأَنَّ مِصْرَ هَذَا هُوَ الَّذِي سُمِّيَتْ مِصْرُ بِاسْمِهِ. وَذَكَرَ شَيْخُ التَّوَارِيخِ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ الَّذِي سُمِّيَتْ مِصْرُ بِهِ هُوَ مِصْرُ بْنُ بَيْصَرَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ، وَهُوَ أَبُو قِبْطِيمَ بْنِ مِصْرَ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْقِبْطُ. وَإِلَيْهِمْ تُنْسَبُ الثِّيَابُ الْقِبْطِيَّةُ. [تاج العروس ٢٠ / ٥].

قال ابن خلدون: ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوا القبط في ملكها وصرّفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المقوقس، واسمه جريج بن مينا فيما نقله السهيلي. فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة، وجبرا مولى أبي رهم الغفاري، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها، فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دُلْدُلٌ، والحمار الذي يسمى يعفور، ومارية القبطية أم ولده إبراهيم وأمتها وأختها سبرين وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه، وعسل استخرقه له من بنها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب. ويقال إن هرقل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل إلى الإسلام فعزله عن رئاسة القبط. [تاريخ ابن خلدون ٢ / ٨٨].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في هَلَاكِ قُرْعُونَ وَجُنُودِهِ: لما تَمَادَى قِبْطُ مِصْرَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ

الحمد لله الذي فاوت بين العباد، وفضل بعض خلقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد، والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد. وبعد...

فإن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرحل عن هذه الدنيا حتى استودع الناس وصية من أعظم الوصايا، وبشرهم ببشرى تسعد لها القلوب وتبرق الثنايا؛ فقال لهم: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يذكر فيها القبراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً؛ فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة، فأخرج منها». فمر أبو ذر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها. [رواه مسلم]. وحقا تحققت بشراء، وصدقت نبوعته، وفتحت مصر المحروسة.

مصر في اللغة وأصل تسميتها بذلك

أصل كلمة مصر من الفعل مَصَرَ مِصْرَ الشاة والناقة يَمَصِّرُهَا مِصْرًا وَيَمَصِّرُهَا: حَلَبَهَا بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ الثَّلَاثِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ تَأْخُذَ الضَّرْعُ بِكَفِّكَ وَتُصَيِّرَ إِبْهَامَكَ فَوْقَ أَصَابِعِكَ، وَقِيلَ: هُوَ الْحَلْبُ بِالْإِبْهَامِ وَالنَّسَابَةِ فَقَطْ. [لسان العرب ٥ / ١٧٥].

قال الزبيدي: قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ بَحِيَّةٍ: مِصْرُ أَخْصَبَ بِلَادِ اللَّهِ، وَسَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمِصْرَ وَهِيَ هَذِهِ دُونَ غَيْرِهَا، وَمَنْ أَسَمَّاها أُمُّ الْبِلَادِ، وَالْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ، وَعَوْتُ الْعِبَادِ، وَأَمْ خَنُورٌ، وَتَفْسِيرُهُ: النِّعْمَةُ الْكَثِيرَةُ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي لَا تَوْجَدُ فِي غَيْرِهَا، وَسَاكِنُهَا لَا يَخْلُو مِنْ خَيْرٍ يَدِرُّ عَلَيْهِ فِيهَا، فَكَانَها الْبَقْرَةُ الْحَلُوبُ النَّافِعَةُ.

وقال: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَمَصِّرُهَا أَي تَمْدُدُهَا، أَوْ لِأَنَّهُ بَنَاهَا الْمِصْرُ بْنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسُمِّيَتْ بِهِ، ... وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ بَحِيَّةٍ.

وَهِيَ تَصْرَفُ وَقَدْ لَا تَصْرَفُ، وَتَوْنُثُ. وَقَدْ تُذَكَّرُ، عَنْ ابْنِ السَّرَّاجِ. قَالَ سِبْوَيه: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «**فَقِطْرًا**» **مِصْرًا** قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْأَكْثَرُ فِي الْقِرَاءَةِ إِفْثَاتِ الْأَلْفِ، قَالَ: وَفِيهِ وَجْهَانِ جَائِزَانِ، يُرَادُ بِهَا مِصْرُ مِنَ الْأَمْصَارِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي تِيهِ، قَالَ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِصْرَ بَعِينَهَا، فَجَعَلَ مِصْرًا اسْمًا لِلْبَلَدِ، فَضَرَفَ لِأَنَّهُ

من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين؛ من فتحوا أبوابهم للوافدين، واستمعوا إلى الشعراء والمادحين، وأجازوا على التأليف والتصنيف، وقاموا في بناء الحضارة الإسلامية بأوفى نصيب.

بل إن مصر كانت -وما زالت- حامية الملة والدين، وراعية الإسلام والمسلمين، وقاهرة الغزاة والمعتدين؛ مما جعلها أعز مكان في الوطن العربي الكبير. فكان من حق هذا الإقليم أن يشغل مكانه في التاريخ، وأن يُخص بعناية العلماء والمؤرخين، وأن تُفرد لوصف ملامحه المؤلفات، وأن يُندرس تاريخه في كل مكان وزمان.

فضل مصر

قال أبو عمرو الكندي: فضل الله مصر على سائر البلدان، كما فضل بعض الناس على بعض، والأيام والليالي بعضها على بعض، والفضل على ضربين: في دين أو دنيا، أو فيهما جميعاً، وقد فضل الله مصر وشهد لها في كتابه بالكرم وعظم المنزلة وذكرها باسمها وخصها دون غيرها، وكرر ذكرها، وأبان فضلها في آيات من القرآن العظيم، تنبئ عن مصر وأحوالها، وأحوال الأنبياء بها، والأمم الخالية والملوك الماضية، والآيات البينات، يشهد لها بذلك القرآن، وكفى به شهيداً، ومع ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مصر وفي عجمها خاصة وذكره لقربته ورحمهم ومباركته عليهم وعلى بلدهم وحثه على برهم ما لم يرو عنه في قوم من العجم غيرهم. [فضائل مصر المحروسة ص: ١]

ذكر مصر في القرآن الكريم:

ذُكرت مصر في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعاً. منها خمسة مواضع باسم مصر تصريحاً: قال الله تعالى: «أَفِطْرًا يُضَرَّأُ فَإِنَّ لَكُمْ نَاسًا أَلُفًّا» [البقرة: ٦١]، وقرئ: «أَفِطْلُوا يُضَرَّأُ» بلا تنوين، فعلى هذا هي مصر المعروفة قطعاً، وعلى قراءة التنوين، يحمل ذلك على العرب في جميع أسماء البلاد، وأنها تذكر وتؤنث، وتصرف وتمنع. وقد أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية في قوله: «أَفِطْرًا يُضَرَّأُ» قال: يعني مصر فرعون.

وقال تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَلْيَسْنَا أَنْ تَبْنِيَّ لِقَوْمِكَ» [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ» [يوسف: ٢١]. وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: «أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنَّ شَأَنَ اللَّهِ

وَعَنَادُهُمْ، مُتَّبَعَةً لِمَكْهَمِ فِرْعَوْنَ، وَمُخَالَفَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَقَامَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ الْحَجَّ الْعَظِيمَةَ الْقَاهِرَةَ، وَأَرَاهُمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا يَهَيِّرُ الْأَبْصَارَ وَحَيَّرَ الْعُقُولَ..... حتى آمن منهم؛ قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، والرجل الناصح، الذي جاء يسعى من أقصى المدينة فقال: «يَمُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأُ يَأْتِيُونَ بِكَ يَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِلَى لَكَ مِنَ التَّصْحِيحِ» [القصص: ٢٠] قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم عنه ومُرادُه غير السحرة فإنهم كانوا من القبط، وقيل بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بني إسرائيل. ويدل على هذا قوله تعالى: «فَمَا ءَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خِيفَةٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ» [يونس: ٨٣] فالضمير في قوله «إِلَّا ذُرِّيَّةُ مِنْ قَوْمِهِ» عائذ على فرعون لأن السياق يدل عليه. [البداية والنهاية ط إحياء التراث ١/ ٣١١].

مما سبق يتبين أن الأقباط هم أهل مصر اجمعين أيًا كانت توجهاتهم، وقبل دخول الإسلام إلى مصر كانت كلمة «قبط» تدل على أهل مصر دون أن يكون للمعتقد الديني أثر على ذلك، إلا أنه بسبب كون المسيحية كانت الديانة السائدة بين المصريين وقت دخول العرب المسلمين مصر، وتمييز الفاتحين ومن أسلم من الأقباط باسم المسلمين، فأنحصرت كلمة قبطي منذ ذلك الحين لتشير للمسيحيين في مصر.

ويعتبر دخول العرب مصر سنة ٢٠ من الهجرة على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص مولد تاريخ جديد لهذه البلاد، ذات الماضي البعيد، فلم يكد يتم الفتح، وتستقر الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة، حتى أخذ سكانها يدخلون في دين الله أفواجاً، وتشرح صدورهم للقرآن الكريم، وتصطنع السنتهم للسان العربي المين؛ وتصبح العربية لغة الدواوين. ثم يرحل إليها أعيان الصحابة وجل التابعين، ويهوي نحوها الفقهاء والقراء وحفاظ الحديث ورواة اللغة والأدب والشعر، وتبنى فيها المساجد؛ لإقامة شعائر العبادات. ومدارس علوم الدين، وللفضل في ساحتها بين الناس، كما أنشئت فيها المدارس لتلقي العلوم والمعارف، وألحقت به خزائن الكتب؛ لجذب العلماء من شتى الجهات؛ مما ارتفع به شأن العلم، وازدهرت الفنون والآداب. وتولى مقاليد الحكم فيها على مر العصور

«إِمْسِينَ» [يوسف: ٩٩].

وقال تعالى حكاية عن فرعون: «أَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي» [الزخرف: ٥١].

وأما ذكره سبحانه وتعالى لها كناية وإشارة فكما في قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ الْفَرِيقَ» [الأنعام: ١٢٣]. فالمدينة هنا هي مصر.

وقال تعالى: «قَالَ يَسُوףُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» [يوسف: ٣٠]. والمدينة هنا مصر.

وقال تعالى: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا» [القصص: ١٥]. وهي مصر.

ومثله قوله تعالى: «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» [القصص: ١٨].

وقال تعالى: «وَمَاءٌ رَّيُّلٌ مِّنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى» [القصص: ٢٠]، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي أن المدينة في هذه الآية منفى، وكان فرعون بها.

كما أشير إليها بلفظ الأرض كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ» [يوسف: ٥٥]، أخرج ابن جرير، عن ابن زيد في الآية: قال: كان لفرعون خزائن كثيرة بارض مصر، فاسلمها سلطانه إليه.

وقال تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَشُوفاً مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ» [يوسف: ٥٦]، أخرج ابن جرير، عن السدي في الآية قال: استعمله الملك على مصر، وكان صاحب أمرها.

وقال تعالى في أول السورة: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» [يوسف: ٢١].

وقال تعالى: «فَلَمَّا أَبْحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِهُ أَبُو» [يوسف: ٨٠]، قال ابن جرير: أي لن أفارق الأرض التي أنا بها - وهي مصر - حتى يأذن لي أبي بالخروج منها.

وقال تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» [القصص: ٤].

وقال تعالى: «وَرُئِدَ أَنْ تَسْمَعَ عَلَى اللَّيْلِ اسْتَعْصِمُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلْنَاهُمْ أَوْزَارًا» [القصص: ٥].

وقال تعالى: «إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَارًا فِي الْأَرْضِ» [القصص: ١٩].

وقال تعالى: «لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ»

[غافر: ٢٩].

وقال تعالى: «أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» [غافر: ٢٦].

وقال تعالى: «أَنذَرْتُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» [الأنعام: ١٢٧]، إلى قوله:

«لَاكِ الْأَرْضُ بِإِذْنِي يَوْمَئِذٍ» [الأنعام: ١٢٨]، إلى قوله: «هَالِكٌ عَنْ رَبِّكُمْ أَن يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ» [الأنعام: ١٢٩].

المراد بالأرض في هذه الآيات كلها مصر.

وقال تعالى: «وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ مَشْرُوكِ الْأَرْضِ وَتَعْبَرُهَا أَلْيَ بَرَكَاتِهَا» [الأنعام: ١٣٧]، قال الليث بن سعد: هي مصر؛

بارك فيها بالنيل. حكاه أبو حيان في تفسيره.

وقال القرطبي في هذه الآية: الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط. وقيل: هي أرض الشام ومصر؛ قاله ابن إسحاق وقتادة وغيرهما.

وقال تعالى في سورتي الأعراف والشعراء: «رُئِدَ أَن يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ» [الأعراف: ١١٠].

وقال تعالى: «فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» [الشعراء: ٥٧-٥٨].

وقال تعالى: «كَذَلِكَ تَرَكْنَا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» [الشعراء: ٥٧-٥٨].

وقال تعالى: «وَمَقَامُ كَرِيمٍ» [الدخان: ٢٥-٢٦]؛ قال الكندي: لا يعلم بلد في أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شاهد له بالكرم غير مصر.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْا صِدْقٍ» [يونس: ٩٣]، أورده ابن زولاق. وقال القرطبي في تفسيره: أي منزل صدق محمود مختار - يعني مصر. وقال الضحاك: هي مصر والشام.

وقال تعالى: «كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ» [البقرة: ٢٦٥]، أورده ابن زولاق وقال: الربا لا تكون إلا بمصر.

قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرَيْرِ» [السجدة: ٢٧]. قال قوم: هي مصر، وقواه ابن كثير في تفسيره.

وقال تعالى: «وَقَدَّرْنَا فِيهَا فُوقَهَا» [فصلت: ١٠]، قال عكرمة: منها القراطيس التي بمصر.

وقال تعالى: «إِذْ دَنَا الْعَمَادُ» [الأنعام: ٧-٨]. قال محمد بن كعب القرظي: هي الإسكندرية.

[حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ للسيوطي].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على
رسول الله خاتم النبيين، إمام المرسلين محمد ولد
إسماعيل وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين.

تحدثنا في اللقاء السابق من قصة سبأ عن
نعمة الرخاء، ورغد العيش، والمسكن الطيب، والبيئة
الصالحة (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبٌّ
عَفُورٌ) [سبأ: ١٥]، هكذا لخص القرآن الكريم مشهد
النعمة السابغة التي أسبغها على سبأ؛ فهذه الجنات
التي تحيط بمساكنهم عن يمين وشمال، والماء العذب
الفرات المحفوظ خلف السد يشربون منه ويسقون
بوابهم وزرعهم، وهواء طيب، وبيئة نقية.

وإلى جانب هذا المشهد مشهد آخر لا يقل أهمية
إن لم يكن هو الأهم، ألا وهو مشهد الأمن، نعم مشهد
الأمن في الأنفس والأموال في الحل والترحال، وإليك
تصوير هذا المشهد من آيات القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي
بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةٍ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا وَيَا لَيْلَى
وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨) فقالوا ربنا بُعد بين أسفارنا وظلموا
أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنهم كل مرقى إن في ذلك لآية
لكل صبار شكور [سبأ: ١٨، ١٩].

قال الشيخ العلامة ابن عاشور رحمه الله: «إن
تأمين الطريق، وتيسير المواصلات، وتقريب البلدان
لتيسير تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق، هذا وما
وراءه، نعمة إلهية ومقصد شرعي يحبه الله لمن يحب
أن يرحمه من عباده كما قال تعالى: (وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ رَبِّ
أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آسَافًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) [البقرة: ١٢٦]، وقال:
(وَأَمِّنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [قريش: ٤]، فنعمة الأمن أساس
ال عمران البشري والاقتصادي في ظلها يسعد الناس
ويؤمنون على أنفسهم وأموالهم، لذلك امتن الله على
سبأ بها، فقال سبحانه: (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ)
[سبأ: ١٨]، ولنبدأ المشهد من بدايته:

١- قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي
بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةٍ) [سبأ: ١٨] أي جعل الله طريق
أهل اليمن (سبأ) طريقا عامرا بالقري من اليمن إلى
الشام، أينما ساروا وجدوا قرية بعد قرية لا يكادون
ينتهون من معالم قرية وجدوها حتى تطالعهم قرية
أخرى بمعالمها البارزة الواضحة، فلا يجدوا في
طريقهم مفازة ولا مصدر فزع ويبدو أن هذه القرية
كانت على مسافات منتظمة مقدرة يعرفها المسافرين
ويحددون بذلك وقت استراحتهم ووقت ارتحالهم،
ولذلك قال الله تعالى: (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا وَيَا لَيْلَى
وَأَيَّامًا آمِنِينَ) [سبأ: ١٨] أي: سيروا في طريقكم من
اليمن إلى الشام مراحل مقدرة بالأيام والليالي، وبين
كل مرحلة يجدون قرية مهما ساروا بالليل أو النهار،
فهم في أمن وأمان، وهذا من تمام نعمة الله عليهم.



قصة سبأ

الحلقة الثانية

«سبأ ونعمة الأمن»

عبد الرزاق السيد عبيد

إعداد /

انظر أخي -رحمني الله وإياك- كيف تعددت نعم الله على قوم سبا بين مسكن طيب، وزرع متنوع، وظل ظليل، وماء عذب وفير، وفواكه كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وهواء نقي، وطريق آمن فكيف قابلوا هذه النعمة؟! قابلوها بالجحود والكران حتى وصل بهم الكفر إلى أن قالوا كما حكى القرآن عنهم:

٣- (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ حَادِثٌ وَمَرْفَعُهُمْ كُلُّ مَرْفَعٍ) [سبا: ١٩]، وإنك لتعجب من أحوال العباد كيف يظلمون أنفسهم وكيف يبذلون نعمة الله كفرًا! وصدق الله حين يقول عن هؤلاء وأمثالهم: (الَّذِينَ يَذُلُّوا يُغْنِمُ اللَّهُ كُفْرَهُمْ وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْكُفْرِ أَجْهَمٌ يَبَسُّونَهَا وَيُكَفِّرُونَ الْكُفْرَ) [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وكان الأولى بقوم سبا أن يشكروا الله على ما أولاهم من نعم، ويطيعوا رسل الله الذين بعثهم إليهم ويسجدوا لله شاكرين، ويطلبوا منه سبحانه أن يديم عليهم نعمة الرخاء والأمن، لكنهم ظلموا أنفسهم وطلبوا الشقاء بعد الرخاء والخوف بعد الأمن، وهذه طبيعة الكفر والجحود والكفران!!

وهذا الذي فعله قوم سبا من قديم مع رسلهم فعلته قريش مع خاتم النبيين وإمام المرسلين، فقالوا كما حكى عنهم القرآن الكريم: (وَلَا قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِندِكَ فَاطْمَئِنَّا عَلَيْكَ جَحَازَةً مِّنَ السَّعَةِ أَوْ أَنْتَنَا بَعْدَآبِ أَيْمٍ) [الأنفال: ٣٢]، انظر كيف دفع الكفر والجحود والعناد القوم إلى طلب الهلاك ولم يطلبوا الهداية، إن بטר النعمة قد أوصلهم إلى ما وصلوا إليه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وذلك أنهم بطروا النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد، وأحبوا مغاورة مهامة (أي: أرض لا زرع فيها ولا ماء، وفيها صعوبة) يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مأكول ومشارب وملابس، ولهذا قال لهم: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [البقرة: ٦١]، وقال الله عز وجل: (وَكَمْ أَفْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا) [القصص: ٥٨]، وقال في حق هؤلاء: (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرْفَعُهُمْ كُلُّ مَرْفَعٍ) [سبا: ١٩]. اه مختصراً.

قال الشيخ العلامة ابن عاشور رحمه الله: «وأشارت الآية إلى التفرق الشديد الذي أصيبت به قبيلة سبا؛ إذ حملهم خراب السد، وقحولة الأرض إلى مفارقة ديارهم مفارقة وتفريقاً ضربت به العرب المثل في قولهم: ذهبوا أو تفرقوا أيدي سبا أو أيادي سبا، والأيدي والأيادي جمع (يد)، وهي هنا بمعنى الطريق، والمعنى أنهم ذهبوا في طرق شتى فتفرقت

الأزد، وكنده ومنحج، والأشعريون، وأنمار، وبجيلة في اليمن ولحقت خزاعة بثهامة بمكة، ولحقت الأوس والخزرج ببثرب، وهم من لخم، وتفرقت بقية لخم بالعراق، ولحقت غسان ببصري». اهـ.

٤- قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [سبا: ١٩]، هذا التعقيب القرآني الأول على قصة سبا، وفيه إشارة عظيمة إلى أن ما حدث لسبا فيه آيات لكل صبار شكور، وقال الله عز وجل: «آيات»، ولم يقل آية؛ لأن ما حدث لسبا من تبديل أحوالهم من الأمن والرخاء والاجتماع إلى الخوف والشدة والتفرق فيه آيات كثيرة متعددة، وسنأتي إليها إن شاء الله في مقال لاحق.

لكن الذي نحرص على الإشارة إليه الآن أن هذه الآيات لا يدرکہا كل أحد، ولا ينتفع بها إلا كل صبار شكور، أي كثير الصبر وكثير الشكر، وهذا فيه تعريض بقوم سبا فهم لم يصبروا ولم يشكروا، ولكن أصابهم الجزع والهلع وبطر النعمة، وأصابهم الملل من كثرة النعيم وتمنوا زوال نعمتهم، وهذا دليل على ما قد تبلغه العقول من انحطاط وانحراف حين تبتعد عن منهج الله.

ونحن نشاهد أمثال هذا البطر في واقعنا المعاصر في كثير من الأمم التي أصابتها تخمة الرفاهية، ولم يكتفوا بما تلقبوا فيه من نعيم؛ فراحوا يبحثون عن أنواع من الشذوذ والانحراف في علاقاتهم الاجتماعية والجنسية وأنشطتهم الرياضية كما يسمونها، فما أباس العقل البشري حين يبتعد عن منهج الله! وما أفقره إن لم يعرف ربه وخالقه!!

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «والقلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة، فالقلب لا يصلح ولا يفلح، ولا ينعم لا يُسَرُّ ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده لا شريك له وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبيه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له؛ فالعبد مفتقر دائماً إلى حقيقة: «إياك نعبد وإياك نستعين». اه من رسالة العبودية.

وهذا الكلام الذي ذكره ابن تيمية يرشدنا إلى الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، وهي العبادة، وأنهم فقراء بالفطرة إلى هذه الغاية، وفقراء في الوصول إليها إلا بمعونة الله، وهذا لا يكون إلا لمن هداه الله إلى اتباع منهج الرسل، وهذا أيضاً يفسر لنا شقاء من ابتعد عن منهج الرسل.

والله الموفق، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

**الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض،
وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام
على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،
وبعد:**

فقد «شهدت كتب التاريخ والسِّير أن الصحابة
- رضي الله عنهم - عاشوا أعلى مراتب النصر
والتأييد ، ومن العجيب أن هذا النصر وذلك
التأييد ما كان في ميدان دون ميدان ، وإنما في
كل الأوقات، وكل الميادين.

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس
الأمارة بالسوء فالجموها بلجام الاستقامة
والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى
الله إن هي تمردت على هذا اللجام.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في
أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا
العدو في أقصر وقت ، وبأقل التكاليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان
الجن القاعد لهم بكل طريق ، والمتربص بهم
الدوائر، فلم يسمعوأ لوساوسه وإغراءاته،
ولم يعبأوا بكيد ، وعاشوا هذا النصر وذلك
التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها،
فلم تفتنهم ، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم.

وهكذا كان النصر حليفهم ، وكان التأييد
حظهم أينما حلوا وكيفما حلوا .

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء
الأصحاب في كل وقت وفي كل ميدان إنما هو
الله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، والذي
إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله
لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة ، فإنه
سبحانه لا يحابي ولا يجامل ، وإنما كان
بسبب من هؤلاء فقد تحلى هؤلاء بطائفة من
الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر
عليهم ، والتأييد لهم من ربهم ، وتبقى هذه
الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سبباً
في حصول النصر والتأييد من الله شريطة
الالتزام والتحلي بها» [من أخلاق النصر
في جيل الصحابة » (ص ٩ - ١٠)].

وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهلت
الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية
على سبيل الاختصار لا الحصر.

١- تعظيمهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله
صلى الله عليه وسلم:

المؤهلات التي

أهلت الصحابة

رضي الله عنهم

لقيادة البشرية

د. أحمد فريد

إعداد



عن أنس رضي الله عنه قال : « غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال : يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليربين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون. قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني الصحابة - ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله : « **يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** » [الأحزاب: ٢٣]. [رواه البخاري (٢٨٠٦) ، ومسلم (١٩٠٣)].

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمّن به واتبعه، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا ؟ قال : « قسمته لك ». قال : « ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرميها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فاموت فادخل الجنة » ، فقال : « إن تصدق الله بصدقك ». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أهو هو؟ » قالوا : نعم. قال : « صدق الله فصدقته ».

ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً ، أنا شهيد على ذلك ». [رواه النسائي (١٩٥٣) ، وصححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » (١٨٤٥)].

٢- زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة:

والزهد : هو الرغبة عن الشيء ؛ لاستقلاله واستحقاقه والرغبة فيما هو خير منه وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة ، قال

كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم عملاً يقول الله عز وجل : « **يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا** » [الأنفال ٢٠] ، وقوله عز وجل : « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ».

فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتاه زيد بن حارثة وحين يفاتحها في ذلك تأتي ، وتقول : لست بناكحتك ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل فانكحيه » قالت : يا رسول الله ، أشاور نفسي؟ فيبينما هما يتحدثان، إذا بالقرآن ينزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** » ، فتقول : قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ فيقول : « نعم » فتقول إذن : لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أنكحتك نفسي » [تفسير الطبري (٩/٢ - ١٠)].

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أحد ، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وآلام؛ تعظيماً لأمر الله عز وجل ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسجل الله عز وجل لهم هذا الموقف في كتابه الخالد وانزل فيهم قوله : « **الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَآلَوْا بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا فِيهِ مَكَاثِبَ وَأَمْوَالَهُمْ يَنْفَعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْطَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » [الحشر : ٨] ، ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى : « **يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمَا وَمَا يَدْرَأَكُمُ** » [الأحزاب: ٢٣].

٢- صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

وقد وصف الله عز وجل المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى : « **لَقَدْ جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْطَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » [الحشر : ٨] ، ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى : « **يَنَالُ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمَا وَمَا يَدْرَأَكُمُ** » [الأحزاب: ٢٣].

تعالى: « قُلْ مَنْ الدِّينَ قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا » [النساء: ٧٧]. وإنما سبق الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينهم بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية.

قال عبد الله بن مسعود للتابعين: « لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا خيراً منكم ، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ».

فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين وصدق التوكل على الله عز وجل ، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهله في شهرين ولا يوقد في بيت من بيوته نار. [رواه البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢)].

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله في هذين » وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف» [رواه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢)].

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه فعن أنس رضي الله عنه قال: « رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث، لبد بعضها على بعض ».

وعن عروة قال: « دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فإذا هو مضجع على طنفسة رحله ، متوسد الحقيبة ، فقال له عمر : ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

فقال : يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيبل. وقال معمر في حديثه « لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض ، فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من؟ قال : أبو عبيدة . قالوا : الآن يأتيك . فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله. [حلية الأولياء (١/١٠١)].

٤- شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا: قال أبو الحسن الندوي: «ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنينا غريباً إلى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة ، تمثّلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها

رأي العين ، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء». [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص: ١٣٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ». قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال « نعم ». قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال : « فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر . ثم قاتلهم حتى قتل. [رواه مسلم (١٩٠١)].

وعن أبي بكرة بن أبي موسى الأشعري قال : « سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ». فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل. [رواه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٧٤٢، ١٩٠٢)].

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم ، وأحاط بهم الصحابة ، فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم في الحديقة. فاحتملوه فوق الجحف ، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها. فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها يقتلون من فيها من المرتدة ، من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة - لعنه الله-.

قال الذهبي: «بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة فاقتحم عليهم ، وشد عليهم ، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة. فخرج يومئذ بضعة وثمانين جرحاً ، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جراحه». [سير أعلام النبلاء (١/١٩٦)].

اللهم ارض عن صحابة نبينا وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

ال خليفة الراشد: عثمان بن عفان رضي الله عنه

صلاح نجيب الدق

(إعداد)

بنتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رقية ثم أم كلثوم.

زوجات عثمان رضي الله عنه:

تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ثمانى نسوة، منهن:

(١) رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) فاضة بنت غزوان.

(٤) أم عمرو بنت جندب.

فضائل عثمان رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ أَنْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّيْتُ حِرَاءَ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ؛ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: مَنْ يُنْفِقْ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً وَالنَّاسُ مُجَاهِدُونَ مُعْسِرُونَ فُجِّهَتْ ذَلِكَ الْجَيْشُ؛ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَنَى رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنٍ فَأَبْتَعَتْهَا فَجَعَلَتْهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؛ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ وَأَشْيَاءَ عَدَّهَا. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩١٩).

وعن عبد الرحمن بن سُمَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ (أربع كيلو وربع ذهب) حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَفَرَهَا فِي حَجَرِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُهَا فِي حَجَرِهِ

الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد، فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ قَائِلًا: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنُ وَرِثَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: ٧).

من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام نحذو حذوها بشيء من سيرته العطرة؛ لعلنا نسعد في الدنيا والآخرة. فاقول وبالله التوفيق:

الاسم والنسب:

هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ويلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٩٠).

ميلاد عثمان رضي الله عنه:

وُلِدَ عُثْمَانُ بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بَسْتُ سَنِينَ. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ص ٢ ص ٤٥٥).

كنية عثمان رضي الله عنه: أبو عبد الله.

كان عثمان في الجاهلية يُكْنَى أبا عمرو، فلما أسلم ورزقه الله ولداً من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه عبد الله واكتنى به، فكانه المسلمون أبا عبد الله، فبلغ عبد الله ست سنين، فنقره ديك على عينيه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٩٠).

لقب عثمان رضي الله عنه:

يُلقب بذي النورين؛ لأنه تزوج



وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ. (صحيح الترمذي للالباني حديث ٢٩٢٠).

وعن أنس بن مالك قال: صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ، وَقَالَ: اسْكُنْ أَحَدُ أَظْلَمِهِ ضَرْبَهُ بِرَجْلِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ. (البخاري حديث ٢٦٩٧).

وعن عبد الله بن عمر قال: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ نَتَرَكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَفْضِلُ بَيْنَهُمْ. (البخاري حديث ٣٦٩٨).

قال ابن كثير: إنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين وعثمان بالليل وقراءته، حتى أنه ربما قرأ القرآن كله في ركعة. (تفسير ابن كثير ج ١٢ ص ١١٦).

استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عمرو بن ميمون (وذلك بعد دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) قال: فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيْكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَجَعَلَهُ إِلَهًا وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرُنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأَسْكَنَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفْتَجْعَلُونِي إِلَهًا وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلْ عَن أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَنْ أَمُرَّكَ لَتُعْدِلَنَّ وَلَنْ أَمُرَّ عُثْمَانُ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتَطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا

بِالْآخِرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَّجَ أَهْلَ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ. (البخاري حديث ٣٧٠٠).

الدولة الإسلامية في خلافة

عثمان رضي الله عنه:

إن مساحة الدولة الإسلامية قد اتسعت اتساعاً عظيماً في عهد عثمان بن عفان، فقد فتح

المسلمون الري وأذربيجان وخراسان ومرو والطالقان، القارياب والجوزجان وتركستان وبلخ وليبيا وبلاد النوبة وغيرها. (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٩١: ٦٤٠)

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينَةَ وَأَذْرَبِيْجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْرَعَ حُذَيْفَةُ اخْتِلَافَهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذْرَكَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ تَرَدَّيَا إِلَيْكَ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةَ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخَوْهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاجْتَبِئُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَهْلٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يَحْرَقَ. (البخاري حديث ٤٩٨٧).

أسباب الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه والرد على المتمردين:

كان عبد الله بن سبأ يهودياً فآظهر الإسلام وسار إلى مصر وقال: إن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة من عثمان وأن عثمان معتد في ولايته، فوجدت هذه المقولة صدى في قلوب بعض

المصريين الذين كانوا ينتمون على عثمان بعض تصرفاته، ولما جاء الخوارج إلى المدينة خرج إليهم علي بن أبي طالب فقال لهم: ماذا تنقمون على أمير المؤمنين عثمان؟ فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى (المكان الذي ترعى فيه إبل الصدقة) وأنه حرّق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من



يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا قَاتَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٨).

عثمان رضي الله عنه يمنع أنصاره عن قتال المتمردين:

عن محمد بن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصارا لله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥١).

وعن عبد الله بن عامر قال: قال عثمان يوم الدار: إن أعظمكم عنى غناء رجل كف يده وسلاحه. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥١).

وعن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين: إن معك في الدار عصابة (جماعة) مستنصرة بنصر الله فأذن لي فلاقاتل، فقال: انشد بالله رجلاً أو قال: أذكر بالله رجلاً أهرق في دمه. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٢).

وعن محمد بن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة، لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارنا: منهم ابن عمر والحسن بن علي وعبد الله بن الزبير. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٢).

قال ابن كثير: قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار وكانوا قريباً من سبعمائة، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من موالي عثمان، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وينطلق إلى منزله، وقال لرفيقه من أعمد سيفه فهو حر. (البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٨٩ - ١٩٠).

وكان مدة حصار عثمان أربعين يوماً. (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٥٥).

عثمان رضي الله عنه يفقد دماء المسلمين بدمه:

اختار عثمان رضي الله عنه أهون الشرين، فأثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين، فافقد دماء أمته بدمه مختاراً ذلك على غيره.

كيفية استشهاد عثمان رضي الله عنه:

عن نائلة بنت الفرافصة زوجة

الناس، فأجاب علي عن ذلك فقال: أما الحمى: فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله. أما المصاحف: فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العريضة الأخيرة. أما إتمامه الصلاة بمكة فإنه كان قد تزوج بها ونوى الإقامة فأتوها. أما توليته الأحداث: فلم يول إلا رجلاً مسوياً عدلاً وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين وولى أسامة بن زيد وكان الناس قد طعنوا في إمارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لخليق بالإمارة: وأما إثارة قومه بني أمية فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر قريشاً على الناس، والله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها. وقد خطب عثمان في الناس واعتذر لهم مما كان وقع فيه من الأثرة لبعض أقاربه وأشهدهم أنه قد تاب من ذلك فبكى وأبكى المسلمين من حوله. (البداية والنهاية لابن كثير ج ١٧٤: ص ١٧٩).

النبي صلى الله عليه وسلم يخبر باستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: أَذْنُ لَهُ وَيَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: أَذْنُ لَهُ وَيَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْفَةً، ثُمَّ قَالَ: أَذْنُ لَهُ وَيَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلَوَى سَتَصِيبُهُ، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ. (البخاري حديث ٢٦٩٥ / مسلم حديث ٢٤٠٣).

وعن عبد الله بن عمر قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَةً فَقَالَ: يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا،

لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، رضي الله عنه. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٥).

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه بالصبر في الفتنة:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِيكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٣).

وعن أبي سَهْلَةَ قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ



يكن في أهل المدينة هذا العدد من المقاتلين، لأن الناس كانوا في الثغور، وفي الأقاليم في كل جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة قد اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، وكان من يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، والخوارج محدقون بدار عثمان، وربما أرادوا صرفهم عن عثمان حتى تصل الجيوش من الأمصار، ولكن الخوارج قد تسوروا دار عثمان وقتلوه قبل وصول هذه الجيوش. (البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

دفن عثمان رضي الله عنه بالبقيع:

قُتل عثمان يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين بعد العصر وكان يومئذ صائماً، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء بالبقيع، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وقُتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨٩).

خصائص عثمان رضي الله عنه :

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما: صبره على نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٥).

(١) عثمان أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم.

(٢) عثمان أول من ولي الخلافة في حياة أمه.

(٣) عثمان أول من اتخذ صاحب شرطة.

(٤) عثمان أول من اتخذ المقصورة في المسجد؛ خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر بن الخطاب.

(٥) عثمان أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله من هذه الأمة.

(٦) عثمان أول من جعل للمؤذنين راتب.

(٧) عثمان أول من جمع المسلمين على قراءة واحدة للقرآن الكريم. (تاريخ

الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤).

رضي الله تعالى عن عثمان

بن عفان، وجزاه الله عن

الإسلام والمسلمين خيراً.

نسأل الله تعالى أن

يجمعنا بعثمان بن عفان في

الفرديوس الأعلى من الجنة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين.



عثمان قالت: أغفى عثمان فلما استيقظ قال: إن القوم يقتلونني، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر فقالوا: إنك تفطر عندنا الليلة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٥).

فقتل عثمان عند صلاة العصر، وهو يقرأ القرآن من المصحف الشريف، حيث سال الدم على لحيته ثم على المصحف ثم دخلت الغوغاء دار عثمان فصاح رجلٌ منهم، أيحل دم عثمان ولا يحل ماله؟ فانتهبوا متاعه، فقاتل نائلة زوجة عثمان: لصوص ورب الكعبة، أيا أعداء الله ما ركبتم من دم عثمان أعظم، أما والله لقد قتلتموه صواماً قواماً، يقرأ القرآن في ركعة ثم خرجوا من دار عثمان. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٥).

كيف قتل المتحدرون عثمان رضي الله عنه بالمدينة، وفيها جماعة من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟

الإجابة على هذا السؤال من عدة وجوه:

الأول: الكثير من الصحابة أو كلهم لم يكن يظن أن أمر الخوارج يبلغ إلى قتل عثمان؛ لأنهم طلبوا من عثمان أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه، فكان الخوارج يرجون أن يسلم لهم مروان، أو أن يعزل نفسه، ويستريح من هذه الضائقة الشديدة، وأما القتل فما كان يظن أحد أن هؤلاء الخوارج يجترئون عليه.

الثاني: الصحابة مانعوا دون عثمان أشد ممانعة، ولكن لما وقع التضيق الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم، ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك الخوارج مما أرادوا، ومع ذلك ما ظن أحد من الناس أن يُقتل عثمان.

الثالث: هؤلاء الخوارج اغتتموا

غيبه كثير من أهل المدينة في أيام

الحج وعدم مجيء الجيوش من

الأفاق لنصرة عثمان، فصنعوا ما

صنعوا من قتل عثمان رضي الله

عنه.

الرابع: هؤلاء الخوارج كانوا

قريباً من ألفي مقاتل، وربما لم

دراسات قرآنية

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم لينتظم به صلاح المعاش والمعاد، وجعله منزهاً عن العوج، وضرب الله فيه للناس من كل مثل، لتتحقق لهم الموعظة، وليتجنبوا المضار، ويأخذوا المنافع كما قال تعالى: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [الزمر: ٢٧، ٢٨].

والصلاة والسلام على من تلقاه من ربه، وبلغه وبينه، حتى تركنا على المحبة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه سلسلة جديدة نتكلم فيها عن «الأمثال في القرآن»، ولقد ضرب الله عز وجل في كتابه العزيز أمثالا للناس لعلهم يتذكرون ويتفكرون ويتقنون، فالمثل اذن تقريب لمفهوم أعمق من المثل، لصورة أوسع منه، وتوضيح وفهم هذه الأمثال على الوجه الذي يريده الله عز وجل نعمة عظيمة من أجل النعم، فذلك يورث تفكراً وتدبراً، ويحمل على التقوى بإذن الله.

والذين يعقلون هذه الأمثال وصفهم الله عز وجل بـ «العالَمُونَ» إذ قال عز وجل: «وَالَّذِينَ آمَنُوا تَتَذَكَّرُ بِهِمْ بِالْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، ولا يخفى على ذي لب ما جعل الله في الأمثال من الحكمة وأودع فيها من الفائدة وناط بها من الحاجة، فإن ضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة منها:

لفت النظر إلى أمثال القرآن:

لقد لفت الله نظر عباده إلى أمثال القرآن في قوله سبحانه: «وَيُضَرِّبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [إبراهيم: ٢٥]، وقوله جل وعلا: «وَيُضَرِّبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [النور: ٣٥]، وقوله سبحانه: «وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ» [إبراهيم: ٤٥]، وقوله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا تَتَذَكَّرُ بِهِمْ بِالْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، ولفت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نظرنا كذلك إليها، وأمرنا بالاعتبار بها في الأحاديث الشريفة مثل

الأمثال

في القرآن

مصطفى البصراوي

إعداد /

حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» [متفق عليه]. وفي لفظ لمسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت». وقد عد الإمام الشافعي -رحمه الله- أمثال القرآن من الأمور التي يجب على المجتهد معرفتها من علوم القرآن، فقال: «ثم ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته؛ المثبته لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل». [البرهان للزركشي ٤٨٦/١].

وقال الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لانشغالهم عن الأمثال، وإغفالهم المثالات». [الإتقان للسيوطي ٣٨/٤].

تعريف المثل

أصل المثل في اللغة: قال الخليل بن أحمد: «المثل ما يُشَبَّه به الشيء لفهمه». والعرب تقول: مَثَلٌ، ومِثْلٌ ونظيرهما من الكلام التشبه والتشبيه والإثر والأثر والبدل. [لسان العرب ٢٠٠/٨، والقاموس المحيط ٥٥/٤].

والناس يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذبت رسله من عقوبات، فمن أمة مُسخت قرده وخنازير، إلى أمة أهلكت بالرجفة، وأخرى بالريح أو الخسف أو الغرق، وذلك هو المثالات، والمثالات: العقوبات واحدا مثلة - بفتح الميم، وضم الثاء - كصدقة وصدقات. وقال مجاهد: المثالات: الأمثال. والتمثيل من المثلة، وهو: جدد الأنف والأذن، وجبّ المذاكير (أي استئصالها). قال ابن منظور رحمه الله: مثلت بالحيوان: أمثل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوّهت به ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه وأذنه وشوّهت به.

أنواع المثل في القرآن

يرى بعض الباحثين أن الأمثال القرآنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الأمثال المصرحة أو القياسية. وهي التي صرح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى: «مَثَلُهَا كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا» [البقرة: ١٧]. «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ» [الرعد: ٣٥]، «مَثَلُ نُورٍ كَمِثْلِهِ فِيهَا مِصْبَاحٌ» [النور: ٣٥]، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ مُّهِيبَةٍ» [النور: ٣٩]، «أَوْ كظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُثِيِّ» [النور: ٤٠].

والثاني: ما يُسمى بالأمثال المرسلة، وهي جمل قد أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه وكثر

التمثل بها؛ لما فيها من العظة والعبرة والإقناع، وقد اكتسبت صفة المثالية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها عند المسلمين ولم تكن أمثالا في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة مثل قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ» [آل عمران: ٩٢]، «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ» [النجم: ٥٨]، «الَّذِينَ حَصَّنُوا أَنْفُسَهُمْ» [يوسف: ٥١]، «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَشَبَّهَ خَلْقَهُ» [يس: ٧٨]، «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ» [الحج: ١٠]، «فَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» [يوسف: ٤١]، «الَّذِينَ أَلْسِنُغُ بَقَرِيصٍ» [هود: ٨١]، «رَجُلٌ يَنْتَهِي وَيَتَّقِي مَا يَنْتَهِي» [سبا: ٥٤]، «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُنْتَفَرٌ» [الأنعام: ٦٧]، «وَلَا يَحِيقُ الشُّكْرُ الشَّيْءَ إِلَّا بِأَعْلَانٍ» [فاطر: ٤٣]، «قُلْ كُلُّ عَمَلٍ عَلَى شَاكِلَةٍ» [الإسراء: ٨٤]، «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» [البقرة: ٢١٦]، «كُلُّ شَيْءٍ بِتَاكِلَتِ رَحْمَةٍ» [المدثر: ٣٨]، «مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ» [المائدة: ٩٩]، «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» [سورة التوبة: ٩١]، «قُلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، «كَمْ مِنْ وَفْدٍ قَالُوا لَوْلَا عَلَيْنَا وَفْدٌ كَثِيرَةٌ» [البقرة: ٢٤٩]، «وَالَّذِينَ قَدْ عَصَيْنَا قِيلَ» [يونس: ٩١]، «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَوْلُكُمْ شَيْءٌ» [الحشر: ١٤]، «وَلَا يَتَذَكَّرُ مِنْكُمْ حِجْرٌ» [فاطر: ١٤]، «قُلْ حِزْبِي بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» [المؤمنون: ٥٣]، «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ» [الأنفال: ٢٣]، «وَقِيلَ مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ» [سبا: ١٣]، «لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُحْمًا» [البقرة: ٢٨٦]، «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ» [المائدة: ١٠٠]، «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» [الروم: ٤١]، «ضَعُفَ الظُّلُمَاتِ وَالظُّلُومُ» [الحج: ٧٣]، «لَيْسَ هَذَا فَعَلِ الْعَمَلُونَ» [الصفافات: ٦١]، «وَقِيلَ مَا هُمْ» [ص: ٢٤]، «مَاعَزَلُوا بِأَوَّلِي الْأَبْصَرِ» [الحشر: ٢].

الثالث: ما يسمى بالأمثال الكامنة، وهي أمثال لم تُضرب لبيان حال خاصة، ولا لصفة معينة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمن من الأزمان لم يصرح فيها بالتمثيل من قريب ولا من بعيد، ولكن يدل مضمونها على معنى يشبه مثالا من أمثال العرب المعروفة، أي: أنها أمثال بمعانيها لا بالفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا أسموها بالأمثال الكامنة.

قال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: «خير الأمور أوساؤها». قال: نعم في أربعة مواضع، قوله تعالى: «لَا فَاِرْضَ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ» [البقرة: ٦٨]، «وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَوْا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُلُوا وَكَانَ بَيْنَ

ذَلِكَ قَوْلًا» [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط» وقوله: «وَلَا تَهْجُرْ بَسِيلًا وَلَا تَحْلِفْ بِهَا وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» [الإسراء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: «من جهل شيئاً عاداه»؟ قال: نعم في موضعين قوله تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا يُعْلِمُهُ» [يونس: ٣٩]، وقوله: «وَأَذِّنْ لِمَن يَهْتَدُوا يَوْمَ مَسْئُورِينَ هَذَا أَفْكَ قَدِيرٌ» [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: «احذر شر من أحسنت إليه». قال: نعم. قوله عز وجل: «وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَسْلِهِ» [سورة التوبة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله «ليس الخبر كالعيان». قال: في قوله تعالى: «قَالَ أَوَلَمْ تَوْنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي» [البقرة: ٢٦٠]. قلت: فهل تجد «في الحركات البركات» قال: في قوله تعالى: «وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً» [النساء: ١٠٠]. قلت: فهل تجد (كما تدين تدان)، قال: في قوله تعالى: «مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَى بِهِ» [النساء: ١٢٣]. قلت:

فهل تجد فيه قولهم: «حين تقلي تدري»؟ قال: «وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلَ سَبِيلًا» [الفرقان: ٤٢]. قلت فهل تجد فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين». قال: «قَالَ هَلْ أَمْسَكْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ» [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: «من أعان ظالماً سُلط عليه»؟ قال: «كَيْبَ عَلَيْهِ أَنْتُمْ مِنْ قَوْلِهِ فَآتَهُ يُصَلِّهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ الْعَذِيرِ» [الحج: ٤]. قلت فهل تجد فيه قولهم: «لا تلد الحبة الا حية»، قال في قوله تعالى: «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا» [نوح: ٢٧]. قلت: فهل تجد فيه «للحيطان آذان» قال: في قوله تعالى: «وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ» [سورة النوبة: ٤٧]. إلى غير ذلك مما نقله السيوطي في الإتقان.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن النوع الثالث ليس داخلًا في الأمثال على أي صورة من الصور؛ لخلوه من وجه التشابه بين المثل والمثله، وقالوا: إن ما ذكره السيوطي وغيره عن الحسين بن الفضل، ضرب من تدريب القريحة على استخراج النظائر القرآنية لبعض ما تتمثل به العرب في عصورهم المختلفة من الأقوال الحكيمة التي أوجزت حادثة من الحوادث أو دلت على معنى من المعاني المعقولة.

وأما النوع الثاني: فهو من قبيل التشبيهات الضمنية، التي تؤكد المعاني وتبرزها إبرازاً يجعلها متميزة في النفس أكمل تمييز، أو هو من قبيل الكنايات التي تأتي بالمعنى مصحوباً بدليله فتجري

مجرى الحكم وهو كثير في القرآن. ومقصودنا في هذا البحث إنما هو النوع الأول؛ إذ هو المراد عند الإطلاق، ويأتي النوع الثاني تبعاً له ويدخل في سياقه ضمناً، على وجه من وجه التشبيه. [الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، د. محمد بكر إسماعيل].

ضرب الأمثال من طبائع الناس

وضرب الأمثال مما فطر عليه الناس على اختلاف شعوبهم وأزمانهم، بناء على التجارب والوقائع في أحداث الحياة، وفي تشبيه بعضهم ببعض، وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن المحذور على الناس أن يشبهوا الله بشيء من خلقه، أي أن يجعلوا الله مثلاً يشركون به أو يقيسون عليه، فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال، لقوله تعالى: «فَلَا تَضْرِبُوا لِلْأَمْثَالِ» [النحل: ٧٤]، وهذا مثل قوله تعالى: «فَلَا تَجْهَلُوا لَهُ أَندَادًا وَأَنْتُمْ كَهْمُكُمْ» [البقرة: ٢٢] أي: تعلمون ببدهة العقول أن الخالق لا يشبه المخلوق، وتعلمون بوحى الله أن الله ليس كمثله شيء.

ويقول البيضاوي في تفسير تعليقه سبحانه نهى عباده أن يضربوا لله مثلاً بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٧٤]، أي: إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس، أو يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمون، أو يعلم كيف تضربون الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك حق العلم، وما ضربه صلى الله عليه وسلم من أمثال الله تعالى، كقوله في الحديث الشريف: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة» [رواه البخاري ومسلم]؛ فذلك من باب إظهار مدى رحمة الله بعباده.

ضلال الكفار في ضربهم الأمثال؛

وكما ضل الكفار في ضربهم الأمثال لله عز وجل، وقد نهاهم الله عن ذلك، ضلوا في ضربهم المثل للرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: «أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْطِغُثُونَ سَبِيلًا» [الإسراء: ٤٨]، فقد عجب الله من صنيعهم كيف قالوا عنه تارة: إنه ساحر، وتارة إنه مجنون، وتارة إنه شاعر، فضلوا؛ لتناقض كلامهم في قولهم: مجنون، ساحر، شاعر. وضلوا عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إلى الهدى، ولا يجدون حيلة في صد الناس عنك يا أيها النبي.

وللحديث بقية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشائعات وأثرها السيئ في الأمة

الشيخ / صالح بن حميد

اعداد /

إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

عن صحَّتها أو دقَّتْها أو خطَرها، بل الخطرُ فيما تُؤوِّل إليها من نتائج خطيرة على الدين والعقيدة، وعلى البلاد وأهلها، وعلى الأمن والاستقرار، ما ينشُرُ الإرباك والاضطراب، بل الخوف والإرهاب. ويزدادُ الخطرُ والخوفُ وسوءُ العواقب حين لا تُعرفُ مصادرُ هذه الأخبار والشائعات، ولا أغراضُ مَنْ نُشَرها وأهدافهم، فلا مصداقية ولا موثوقية، «كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّث بكل ما سمع».

هذه الوسائل والمواقع وسطخصب، وبيئة للشائعات والأخبار المختلفة والمختلقة والآراء والرؤى غير المسؤولة، ناهيك بأن كثيراً ممن يشتغل بنقل هذه الكلمات والصور والأخبار الخطيرة هم الفارغون البطالون الذين ليس لديهم ما يشغلون به أوقاتهم من الخير والنفع لهم ولدينهم وأمتهم وأوطانهم. ويعلمُ المتابعُ العاقل -فضلاً عن المتخصص- أنهم لا في العير ولا في النفير، الواحدُ منهم مُتَكَي على أريكته، ومُلازمٌ للوحتة، وعاكفٌ على جهازه، يُلقي الكلامَ على عواهنه هنا وهناك.

كم كلمة أو تغريدة قالت لصاحبها: دعني! وكم تدوينة تهوي بقائلها في نار جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب! كلماتٌ تخرجُ كالسهام من أفواه البنادق يقتل بها نفسه، ويُهْلِكُ أهله، ويُفسدُ بلده، ويُجرئُ الأعداء، ويُمكنُ للخصوم، ويُبذِرُ بذورَ الفرقة، وينفخُ في أبواق الفتنة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي يتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فالكَيْسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان.

في مرور الأعوام تصرُّم الأعمار، فما أسرع انقضاء الليالي والأيام، (مُرِّيكَ لَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجر: ٩٢، ٩٣]. جعلنا الله وإياكم ممن طال عُمره، وحسنُ عمله، وغفرَ ذنبه، وثقل ميزانه.

ضرورة تعري الصدق في نقل الأخبار

أيها المسلمون: وإن من أعظم ما يستوقف الناظر، ويبعث على المحاسبة الجادة: قول نبينا -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث الصحيح: «كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّث بكل ما سمع». رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. إنها المحاسبة الجادة، والفحص الدقيق.

خطورة استخدام التقنيات الحديثة في نقل الشائعات

معاشر المسلمين: للكلمة أثرها، وللصورة مفعولها في أي وسيلة، في خطبة أو مقالة، أو محاضرة أو تغريدة، من خطيب أو مُحدِّث، أو كاتب أو داعية، أو مُعلِّق أو مُتابع، وفي أي وسيلة من وسائل الإعلام والتواصل.

وفي هذا الزمن بتقنياته واتصالاته، وتدويناته وتغريداته، ومواقعهِ وشبكاته، وإعلامه وقنواته، ومواقعهِ وسيلتها كلها: الكلمة والصورة؛ فويل للمتهاونين من المغردين والمتابعين! كم هي العواقب التي تكلف الكثير والكثير من الأنفس والأموال والجهود؟!

مساوئ انتشار الشائعات

معاشر الأحبة: إن تهاون الناس -ولا سيما الفتيان والفتيات- مما ينعتهون بالثرثرة الجماعية من خلال المجاميع التي يُنظَّمونها أو ينتظمون فيها في هواتفهم وأجهزتهم؛ بل يتسارعون لإحراز قصب السبق في نشر المعلومات أو تلقيها، بقطع النظر



أو هدفًا من أهدافها، إنها: أمن المعلومات؛ بل الأمن على الدين وثوابته وأصوله، والأمن على الأوطان ووحدتها وتماسكها.

هذه التقنيات والآلات والوسائط والمواقع جعلت المسؤولية أعظم، وجعلت مفهوم الحرية أدق، فالحر هو المسيطر على نفسه، الضابط لها بضوابط العقل والدين والعلم. الحرية هي التخلص من قيود الشهوات، وسجون الرغبات. الحر هو المسؤول الذي يفكر بانضباط لا بانفلات.

إن هذه التقنيات فضحت بعض الذين يؤنون التفلت من عيون الرقيب، ناهيك برقيب الدين والضمير والأخلاق والمبادئ.

الإيمان دين صحيح، والمواطنة عقل راشد، والمسؤولية أمانة وثبات وسعي في المصالح العليا والدنيا، وسير في دروب الخير والرشاد، والحث عليها.

أيها العقلاء: الهدم سهل، والانحدار إلى الهاوية لا يكلف -عبادًا بالله- تأملوا في بعض جبرائنا الذي يصبحون على العبوات الناسفة، ويمسسون على قذائف مدمرة تستهدف المنازل والمتاجر والمعابد والمكاتب والطوائف.

إن المراقب لبعض القوى الإقليمية والدولية الذين يحاولون أن يذكوا الصراعات الطائفية القبلية والمذهبية والمناطقية في منطقتنا يحاولون أن يذكوا الصراع، ثم يوظفوه ليقطعوا الدول، ويبعثوا الشعوب، ويشردوا الناس، ليتوزعوا الغنائم، ولا يهتمهم البتة ولا يكثرثون لمصالح شعوب المنطقة وأهلها أماتوا جوعًا، أو تفرقوا شيعًا، أو تناثروا طوائف، أو تقطعوا أحزابًا!! والسعيد الحكيم من وعظ بغيره.

التحذير من خطباء الفتنة والتحريض

الحذر ثم الحذر من خطباء الفتنة والتحريض، دعاة تمزيق الأوطان، والعبث بوحدتها، السعاة إلى تاجيح الفتنة وإثارة الفرقة، في تهم باطلة، وطعون ظالمة، وناصية كاذبة خاطئة، يصفون أوطانهم وأهلهم ورجالهم بأفبح الأوصاف، في أسلوب فج، وسوء من القول.

يقوم قائم مافون هو الأغش للأمة والأئمة، والأشد على جماعة المسلمين ليهدم الشوكة، ويضعف القوة، ويخدم الإعداء، يزعم أنه يطالب بحقوق، ولن يكون نيل الحقوق بفحش القول، والتحريض، وامتناء مطية الغنصرية والطائفية، والاستقواء بالسماعين والدول

زاحم البناء عنده اللسان ليوغل في التعقيب والتصنيف، والنهدم والإفساد.

في كلمات وصور ومقاطع تستهزئ وتسخر من مكونات مجتمعه، وكأنه قد تلوّع ليسود صورته أمام الآخرين، ويوثقها صوتًا وصورة، وكأنه ماجور ليدمر نفسه، ويهدم بيته، ويتنكر لهويته. إذا سمع خبرًا طار به كل مطار، ينشره ويبثه يفخر بأنه حاز السبق في نشره، والكلمة تبلغ الأفاق منخطية حواجز الزمان والمكان في أجزاء من الثواني بللمسة بئان أو غمزة أزرار. بل حقه أن يحاسب نفسه قبل أن يطلق لسانه، أو يغمر بئانه، أو يخط مقاله، أو يعرّض تغريدته.

أين الحقيقة؟! وأين المصلحة؟! وأين الديانة؟! وأين الأمانة؟!

يا ترى هل هؤلاء يؤسعون الأفاق أو يحفرون الانفاق؟! هل هم يبنون أو يهدمون؟! هل هم يجمعون أو يفرقون؟! هل يزعجون الأمل أو يقودون لليأس؟! هل يرفعون من مقام أهلهم وأوطانهم أو يحقرون الذوات ويسحقون النفوس؟!

إن ما يفسده هؤلاء المساكين الأغرار في لحظات قد لا يمكن علاجه في سنوات، وقد يكلف أموالًا ونفوسًا، وقد يستعصي على العلاج. فلا حول ولا قوة إلا بالله!

معاشر المسلمين: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»، «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

وقد أخبرنا نبينا محمد -صلى

الله عليه وآله وسلم- كما

في الحديث الصحيح

فيما رآه من أحوال

الآخرة أنه: «يرى

الرجل يكذب الكذبة

فتبلغ الأفاق، فينشر

شدقه ومنخره وعينه

إلى قفاه». فما أشده

من عذاب، وما أطوله من

زمان!!

معاشر الأحبة: هذه

قضية، وثمة قضية

أخرى مرتبطة بها،

وهي أكبر وأخطر؛ بل

قد تكون أثرًا من أثارها،



دينها وأمنها لا يجوز المساس به أو العبث به، بأي حال وتحت أي مسوغ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَأَقْرَأُوا لِلَّذِينَ أُظْهِرُوا مِنْكُمْ مَنْعًا وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝) وَأَتَكُونُوا إِذَا أَنتُمْ قِيلَ لَكُمْ تَخَضَعُونَ فِي الْأَرْضِ تَعَاوَنُ أَنْ يَخْلُقَكُمْ النَّاسُ فَتَارِكُكُمْ وَأَنْتُمْ بَصَرُكُمْ وَرَدَّكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [الأنفال: ٢٥، ٢٦].

الفرق بين حرية التعبير والتعريض:

المطالبة بالحقوق حق، وبإب التناضح مشروع ومشرع، وللناس حقوقهم ومطالبهم، والنقص يجب أن يسد، والمطالب ترفع وتسمع، ومسالك النقد والمطالبة بالإصلاح حقوق مشروعة إذا سلك بها المسالك الصحيحة.

حق النقد والتعبير والرأي كل ذلك مشروع مكفول، ويجب أن يكون مبدولاً ومُتاحاً ما دام مُلتزماً بالثوابت من المحافظة على الدين بأصوله، والوطن بوحده، والامة بمكوناتها.

من المقبول أن يقسو الناقد والمصلح بعض القسوة في ألفاظه وعرضه، ولكن لا يمكن أن يُقبل الاستقواء بالأغراب، واستعداد الأعداء، وامتناء مطية الكذب والتليس والتدليس. إن في أوطاننا وبلداننا كتاباً وخطباء ونقاداً يكتبون وينتقدون بجرأة وقوة وعقل ويطالبون، لكنهم لا يتجاوزون ثوابت دينهم ومصالح بلدانهم، ولاؤهم لأهلهم لا يساومون، ولا يدارون، والقصور واردة، والكمال عزيز، والاجتهادات تخطئ وتصيب.

يجب أن يكون الفرق واضحاً بين حرية التعبير وحرية الرأي، وبين التعريض والتحرش وبق معاول الهدم والتفريق. فرق بين النقد البناء والدعوة للإصلاح، وبين زرع بذور الفتن الطائفية والقبلية والمناطقية.

أصحاب الحقوق والمطالب المشروعة حق أن يسمع لهم، وأن تستنهض كل المؤسسات المتخصصة الرسمية وغير الرسمية ليستمع إليهم، ويُنظر في مطالبهم، فما ثبت من حق فيجب المسارعة إلي تحقيقه حسب إمكانيات الزمان والمكان والقدرات، وما كان غير ذلك فيكون الرد بالحسنى، وتقدير حق المطالبة.

ألا فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فالسعيد من وعظ بغيره، والحكيم من نظر في العواقب.

الأجنبية وأعداء الأمة، يُثير الفتن، ويجر الأغراب، ويتقوى بالخارج، وهذه خيانة ظاهرة، وتفريط بالبلاد ومؤسساتها وأهلها، ومثل هذا لا بد من الحزم معه وأطره على الحق وإلزامه جادة الصواب، وحفظ أمن البلاد والعباد، ووحد الصف والكلمة.

مسئولية الدولة عن أمن الناس واستقرارهم:

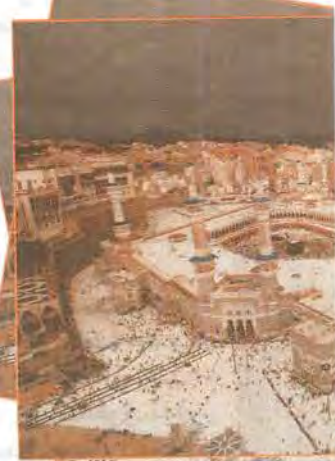
أيها المسلمون: إن من مسؤولية الدولة وواجبها أن تضرب بيد من حديد على كل من يقترب من هذه الثوابت ليهزها أو ينال منها، إنه عبث غير مسؤول ينال من الدين والوطن، الدولة مسؤولة عن أمن الناس وحمايتهم وصيانة حقوقهم وممتلكاتهم، وتنظيم شؤونهم في أسواقهم وبيوتهم ومرافقهم. الدولة بأجهزتها القضائية والتنظيمية والتنفيذية مسؤولة عن أمن الناس واستقرارهم، وتحقيق العيش الكريم لهم، مسؤولة عن تحقيق العدل وتهئية أسباب الحياة الطيبة.

عباد الله: فالحقوق متكافئة، والحياة منظمة، والمصالح معتبرة، ولا يتحقق ذلك إلا في وطن قوي هادئ، مستقر آمن، تحكمها دولة قوية مهيمنة بقضائها وأجهزتها وعدالتها. وليحذر المسلم أن يكون مطية للإفساد وبث روح الفرقة، والخذلان لدينه، والخيانة لوطنه ولسائر أهله.

الحذر ثم الحذر أن يكون الإنسان -من حيث يشعر أو لا يشعر- وقوداً أو حطباً لمثل هذه الدعوات الفئوية الضيقة التي لا تأخذ حساباً لأهلها

وبلدها وأمنها وسلامتها، والضرر سيلحق بالجميع، والنار ستحرق الجميع، ومن يتقاعس عن التصدي لهؤلاء الشذاذ والمرجفين والمتطرفين، أو يحاول إيجاد أعذار أو مسوغات أو ينفذهم بضعف أو استحياء فهو شريك في إضعاف الوطن وهز كيانه.

ووحد الأوطان وسلامتها والحفاظ على



تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من مولده

إعداد: علي حشيش

إعداد/

الجلقة (١٤٩)

في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٩٤/١٥) كتاب «صفة النبي صلى الله عليه وسلم». الباب الثالث: «ما جاء في السنة في الفطرة» قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا يحيى بن أيوب بن بادي العلاف، حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني، قال: حدثني الوليد بن مسلم عن شعيب - يعني ابن أبي حمزة، عن عطاء الخراساني، عن عكرمة، عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي يوم سابعه..» القصة.

ثالثاً: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من ميلاده وما حدث له في سابعه انفرد به ابن أبي السري، ولقد بين ذلك الإمام الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» فقال: «قال يحيى بن أيوب: طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبي السري».

قلت: ولذلك قال أبو عمر: «في هذا الباب حديث مسند غريب»، ثم أخرج الحديث ثم أتبعه بقول يحيى بن أيوب ليبرهن على قوله هذا.

ومعرفة الخبر من حيث وصوله إلينا يتبين فيه المتابعات والشواهد والشهرة والعزلة والغربة، وهذا له أهمية عند أهل الصنعة. وهذا الخبر الذي جاءت به قصة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم سابعه خبر غريب وسنده واه جداً، وله علتان: الأولى: محمد بن أبي السري.

١- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال»

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي يذكرها القصص والوعاظ في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكم من قصص واهية في المولد خرجناها وحققناها في هذه السلسلة حول مولد النبي صلى الله عليه وسلم اشتهرت وانتشرت ليأخذ حذرهم منها، وهذا بيناه في أعداد المجلة على مدار السنوات السابقة. لمن أراد مراجعتها.

ونواصل في هذا العدد - إن شاء الله تعالى - التحذير من القصص الواهية في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونقدم للقارئ الكريم قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من مولده.

أولاً: المتن

يذكر في هذه القصة أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم احتفل باليوم السابع لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان محور ارتكاز الحفل يدور على ثلاثة أشياء: الأول: الختان، والثاني: التسمية، والثالث: المأدبة.

يتبين ذلك من هذا الخبر.

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه، وجعل له مأدبة، وسماه محمداً. اهـ.

ثانياً: التخريج

أخرج هذا الخبر الذي يروي قصة ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي في «التمهيد لما

(١٧/١٨٧/٦١٦٧): محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن بن حسان القرشي الهاشمي أبو عبد الله بن أبي السري العسقلاني أخو الحسين بن أبي السري مولى بني هاشم. روى عن الوليد بن مسلم وآخرون، وقال أبو أحمد بن عدي: «كثير الغلط». اهـ.

٢- وأورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣٧٦/٩) وأقر قول الإمام المزي في محمد بن أبي السري كذلك قول الإمام ابن عدي بأنه كثير الغلط، ونقل عنه حديثاً لبين مناكيره وغبابة إسناده، ثم نقل عن مسلمة بن قاسم قال: ابن أبي السري كان كثير الوهم. وعن ابن وضاح قال: «كان كثير الغلط». اهـ.

٣- وأورده أيضاً الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٠٤/٢) وبين أوهامه، فقال: «له أوهام كثيرة».

٤- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٨١١٤/٢٣/٤) وقال: «محمد بن المتوكل العسقلاني هو محمد بن أبي السري، قال ابن عدي: كثير الغلط، ولحمد هذا أحاديث لا تنكر». اهـ.

قلت: وهناك قاعدة مهمة عند أهل الصنعة تنطبق تمام الانطباق على من كان هذا حاله بينها الإمام العراقي في «فتح المغيث» (ص ٧) فقال: «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك ولو كان عدلاً» اهـ.

وعند تطبيق هذه القاعدة يصبح السند واهياً جداً.

ولقد طبق هذه القاعدة الشيخ الألباني رحمه الله أكثر من مرة وعلى سبيل المثال لا الحصر في «السلسلة الضعيفة» (ح ٩٢٣).

العلة الأخرى: الوليد بن مسلم.

١- لقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في «المرتبة الرابعة» رقم (١١) وقال: «الوليد بن مسلم موصوف بالتدليس

الشديد». اهـ.

قلت: ولقد بين الحافظ ابن حجر في مقدمة هذه الطبقات مفهوم الطبقة الرابعة فقال: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد». اهـ.

قلت: ولقد افتتح هذه الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين ببقية بن الوليد الحمصي وختمها بالوليد بن مسلم الدمشقي ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح.

ب- أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٣٦/٢) وقال: «الوليد بن مسلم القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي كان كثير التدليس والتسوية». اهـ.

قلت: ولقد بين الحافظ ابن حجر تدليس التسوية الذي يفعله الوليد بن مسلم؛ حيث نقل في «تهذيب» (١٣٥/١١) عن الإمام الدارقطني قوله: «قال الدارقطني: كان الوليد يرسل؛ يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء قد أدركهم الأوزاعي، فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع». اهـ.

ج- ولقد بين الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (٣٣٩/١) صورة تدليس التسوية الذي يفعله الوليد بن مسلم فقال: «وصورته: أن يروي المدلس حديثاً عن شيخ ثقة بسند فيه راوٍ ضعيف، فيحذفه المدلس من بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر، ولم يُذكر أولهما بالتدليس ويأتي بلفظ محتمل فيسوي الإسناد كله ثقات، ويصرح المدلس بالاتصال عن شيخه؛ لأنه قد سمعه منه فلا يظهر في الإسناد ما يقتضي رده إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل ويصير الإسناد عالياً وهو في الحقيقة نازل». اهـ.

ثم بين الإمام السخاوي حكمه فقال: «وهو مذموم جداً لما فيه من مزيد الغش والتغطية».

وقال: «إنه شر أنواع التدليس». اهـ.

ولقد بين الإمام السخاوي أشهر من كان يفعله فقال: «وممن كان يفعله بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم». اهـ.

ولذلك في حالة من اشتهر بتدليس التسوية لا يكتفي فيه بالتصريح من المدلس بالسماع؛ حيث يتوهم من لا دراية له بهذا النوع من التدليس أن العلة قد زالت مع أن العلة موجودة في طبقات السند، ولا بد أن يصرح بالسماع إلى الصحابي خوفاً مما بينها أنفاً من إسقاط ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر.

وبتطبيق ذلك على الوليد بن مسلم وهو الذي يدلس كما بينا تدليس التسوية نجده لم يصرح بالسماع إلى الصحابي بل عنعن.

حيث قال محمد بن أبي السري: حدثني الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس كما هو مبين في التخريج الذي بيناه آنفاً.

وبهذا يتبين أن السند الذي جاءت به القصة «قصة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم سابعه» سنده واه جداً من حيث الطعن في الراوي محمد بن أبي السري لأوهامه وكثرة غلطه.

كذلك من حيث الإسقاط في السند، وهو كما بينا آنفاً من نوع السقط الخفي الذي أحد نوعيه التدليس بل هو من شر أنواع التدليس وهو تدليس التسوية.

ولقد بينا ذلك بالتفصيل لتحقيق الغرض من هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية».

رابعاً: هل ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً؟

يظن من لا دراية له بتحقيقنا لهذه القصة وبيان ضعفها الشديد ولم يصح أن عبد المطلب أقام حفلاً ومأدبة وأنه ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه، فيتوهم أنه ولد مختوناً؛ حيث اشتهر عند القصاص والوعاظ هذا الخبر الذي أخرجه الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (١١٤/١) فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم بمرور، قال: حدثنا أبو عبد الله البوشجني، قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة، قال: حدثنا يونس بن عطاء عن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصّدائي بمصر حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن أباه العباس بن عبد المطلب قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً..

قلت: وهذه قصة أخرى واهية تبين أن عبد المطلب وجد النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً فقال: ليكونن لابني هذا شأن.

وإن تعجب فعجب أن تأتي قصة أخرى تبين أن عبد المطلب ختن النبي يوم سابعه!! قلت: ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل في سليمان بن سلمة يتبين أن هذا الخبر مكذوب والحديث موضوع.

لذلك تحدث الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٨٠/١) حول ختانه صلى الله عليه وسلم فقال عن خبر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً: روي في ذلك حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات»، وليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصه.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده... وبعد:

فإن للشيعة الرافضة كتباً كثيرة في فروع
الفقه تعتمد على ما يسندونه لأهل البيت
من آثار وأشهرها كتاب وسائل الشيعة،
ومستدرک الوسائل، وفي هذا المقال نبين
لك بعضاً من مسائلهم التي خالفوا فيها
أهل السنة؛ إما لتأثر الكاتب بأصل من
أصولهم، والكتاب والسنة على خلافه،
وإما لكذبهم وعدم التحقق من صحة
الدليل أو تعمد الكذب لمخالفة أهل السنة،
وسأذكر لك بعضاً من هذه النماذج لتكون
على معرفة بها:

١- نجاسة سؤر الكلب وولد الزنا،
والناصب (وهو من يتولى أبا بكر وعمر)،
فعن أبي عبد الله الصادق: أنه كره
سؤر الكلب وولد الزنا وسؤر اليهودي،
والنصراني والمشرک، وكان أشد ذلك عنده
سؤر الناصب. [كتاب الطهارة.. وسائل
الشيعة ج ١/ ٢٢٤].

٢- الصداغان وأسفل الذقن ليسا من
جسد الوجه في الوضوء، ويجب
الابتداء في غسل الوجه من أعلاه،
وفي اليدين بالمرفقين حيث كان
التنزيل في مصحف علي «وأيديكم
من المرافق» بدلاً من (وَأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْمَرَافِقِ) [المائدة: ٦]، كما أن الواجب
عندهم في الوضوء مسح الرجلين
من أعلى القدمين، يبل اليد من
أثر غسل اليدين، وذلك بقدر ثلاثة
أصابع؛ حيث نزل جبريل بالمسح،
ولا يجوز غسل الأرجل إلا في حالة
التقية، كما لا يجوز المسح على
الخفين. [وسائل الشيعة ج ١ ص ٧
وما بعدها].

٣- جواز قراءة القرآن للحائض والنفساء
والجنب، إلا سور القرآن الأربع وهي:
العلق، والنجم، والسجدة، وفصلت، ولا
تجوز قراءة هذه السور في الفرائض؛

الفروع

الفتوية

عند الرافضة

أسامة سليمان

إعداد /

لأنها تُفسد الصلاة وحجتهم في ذلك أن هذه السور بها سجدة تلاوة وسجدة التلاوة مخلة بهيئة الصلاة. [وسائل الشيعة ج ٣/ ٢٩٦].

٤- التيمم مسح الجبهة موضع السجود، أي: فوق الحاجبين وطرف الأنف وليس كل الوجه، ومسح اليدين إلى موضع القطع في السرة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: **(فَأَمْسُوا بُيُوتَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِّنْهُ)** [المائدة: ٦]، فالباء عندهم للتبعيض. [وسائل الشيعة ج ٤ ص ٣١٤].

٥- الصلاة الواجبة تسع صلوات: الخمس اليومية، والجمعة، والعيدين، ويشترط للجمعة والعيدين حضور الإمام المعصوم، أو من نصبه الإمام لها، وصلاة الآيات مثل الكسوف والخسوف وصلاة الطواف، والطواف، وصلاة الميت وما وجب بنذر أو عهد أو يمين، الفائتة على الوالدين وقضاء الفوائت. [وسائل الشيعة ١٣٩/٥].

٦- قول أمين ووضع اليمين على الشمال مبطل للصلاة. [راجع الشيعة في عقائدهم ص ١١٢].

٧- صلاة التراويح ليست من السنة، وإنما ابتدعها عمر بن الخطاب. [السابق ص ١١٨].

٨- زيادة وأشهد أن علياً ولي الله بعد الشهادتين، وحي على خير العمل بعد الحيلتين، في الأذان. [السابق ص ١٢٣].

٩- عدم جواز السجود على الثياب والفُرش وغيرها من كل ما يُلبس أو يؤكل واستحباب السجود على التربة الحسينية؛ لتيقن طهارتها بخلاف غيرها من أجزاء الأرض. [السابق: ص ١٢٦].

١٠- الصلاة على الجنازة خمس تكبيرات، ولا تسليم فيها، ولا يشترط لها الطهارة، بل تجوز صلاة الحائض والجنب، ولا صلاة إلا على من بلغ ست سنين فصاعداً. [وسائل الشيعة ٤١٠/٣].

١١- لا تجب الزكاة إلا في تسعة أشياء فقط هي: الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضة،

والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب. [راجع كنز العرفان للمقداد الحلبي ص ١٠٧].

١٢- الأنفال ومستحقها التي عن الإمام المعصوم، وفي زمن غيبته هي لنائبه. [راجع الشيعة وعقائدهم ص ١٤٢].

١٣- المريض والمسافر لا بد أن يفطرا ولا يصح صومهما، والصائم في السفر كالمفطر في الحضر. [السابق ص ١٤٦].

من أصبح جنباً وجب عليه القضاء والكفارة. [الشيعة وعقائدهم ص ١٤٨].

١٤- يُشترط لوجوب الجهاد: وجود الإمام المعصوم، وأمره به، وأن يدعو إليه.

١٥- جواز نكاح المرأة على عمتها أو خالتها؛ بشرط إذنهما ورضاها، وعدم جواز نكاح الكتابيات إلا في نكاح المتعة.

١٦- لا يقع الطلاق إلا إذا حضره شاهدا عدل يسمعان صفته.

١٧- عدة المتمتع بها حيضتان، أو خمسة وأربعون يوماً.

١٨- الأنبياء يورثون كغيرهم، والصدوق ظلم فاطمة وأزواج النبي في ميراثهم من تركة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٩- لا ميراث للإخوة ولا الأخوات مع وجود بنت للميت أو بنت ابن، كما لا يرث الأخ من أخته إذا كانت لها بنت، وكذا الأخت من أخيها إذا كان له بنت.

٢٠- القطع في السرقة يكون في أصابع اليمنى الأربع، أما الإبهام والراحة فلا تقطع؛ لأنها من المساجد؛ لقول الله: **(وَأَنَّ السَّيِّدَ لِلَّهِ)** [الجن: ١٨].

٢١- من أقر بالقتل ثم جاء آخر فأقر به أيضاً سقط الحد عنهما.

هذه بعض الفروع الفقهية عند الرافضة التي تتضمن مخالفة صريحة للكتاب والسنة، والتي تأثروا فيها بفقهاء الشيعة وعقائدهم.

نسأل الله لهم الهداية للحق والبعد عن الضلال والزيف.

والله من وراء القصد

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات



مجاراة الأشعري لأئمة السلف وتابعيهم بإحسان في استنكارهم تأويلات المعتزلة
والجهمية والشيعة والخوارج.. ومن تبعهم في ذلك من متأخري الأشاعرة

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

اعداد/

الأستاذ بجامعة الأزهر

ب- وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كفر أيضاً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر.

ج- وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع إلى قول أهل السنة [ينظر رسالته في (الرد على الجهمية) ص ١٥٥، ١٥٦، واجتماع الجيوش ص ٧٩، ومختصر العلو ص ٥٤].

ومما تضافر عن عبد الله بن المبارك (ت ١٨٢) في التحذير مما عليه الجهمية من نفي فوقيته تعالى وتأويل الاستواء بالاستيلاء، قوله: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية». [اجتماع الجيوش ص ٤٤].

وفي تعليقه على قول سيد الحفاظ يحيى بن معين (ت ٢٣٣) - في إثبات نزوله تعالى دون ما لجوء إلى التأويل -: «إذا قال لك الجهمي: وكيف ينزل؟ فقل له: كيف يصعد؟».. يقول الإمام الذهبي: «الكيف في الحالين منفي عن الله تعالى، لا مجال للعقل فيه» [العلو ص ١٢٩، والمعارج ١/١٤٠].

التفاء التمثيل والتشبيه عن صفات الله تعالى:

وهذا ما يقتضيه المنطق والقياس والقرائن العقلية، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم فلم يشكوا أن في الجنة أنهاراً من

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى نحو ما لم يكن أبو الحسن الأشعري - إمام المذهب ت ٣٢٤ هـ - بدعاً من أهل التحقيق من علماء وأئمة سلف هذه الأمة، في إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الخبرية والفعلية.. فإنه - رحمه الله - لم يكن كذلك وحيد نسجه في رد عادية الجهمية والمعتزلة والشيعة ومن على شاكلتهم من أولئك الذين يدعون لأنفسهم شرف الانتساب إليه من متأخري الأشاعرة وما هم منه، لكونهم من دونه وعلى غير مذهبه يقولون بتفويض الصفات أو تأويلها وإخراجها إلى المحاز دون ما قرينة.. وإنما استهجن هذا منهم أيضاً جمهرة علماء وأئمة أهل السنة والجماعة على مر الدهور والأزمان.

معتقد علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى:

ففي تحد صارخ من الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) لرد مقولة الجهمية التي نفوا فيها علوه تعالى واستواءه على عرشه، وجنحوا فيها إلى القول بأن الله تعالى بذاته في كل مكان مخلوق، يقول رحمه الله: «إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟، فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء، خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه؟، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقوال:

أ- إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه.

قول فقيه العراق في عقيدة أهل السنة والجماعة:

وما جاء في قول فقيه العراق أبي العباس بن سريج (ت ٣٠٦): «قد صح وتقرر وانضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته التي صحّحها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: «مَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ» [البقرة: ٢١٠]، وقوله تعالى: «وَمَاءَ رَبِّكَ وَالنَّسْكَ صَفَاءً» [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]، وقوله تعالى: «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّكُونُ طَوْعًا وَبِغَيْرِ» [الزمر: ٦٧]، ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس، واليدين والسمع والبصر، والكلام والعين والنظر، والإرادة والرضا والغضب، والمحبة والكراهة، والعناية والقرب والبعد، والسخط والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه وتجليه، والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله: «مَأْتِمُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ» [الملك: ١٦، ١٧].. وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه.

فهذا، وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته؛ كغرسه جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضع قدمه على النار فتقول (قط قط)، وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا.. وكغيرته وفرحه بتوبة العبد.. وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله - سبحانه - ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه.

اعتقادنا فيه، أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص

خمر وأنهاراً من غسل وأنهاراً من لبن، ولم يعرفوا كنه ذلك ولا مادته وكيفية؛ إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا من الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، ومن العسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، ومن اللبن إلا ما خرج من الضروع، ومن الحرير إلا ما خرج من دودة القز، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلاً لما في الدنيا، ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك..

وهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها، بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها، يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦): «فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل.. ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه، ولكن لا نقول كيف، والله وضع عنا أن نفكر كيف كان؟ وكيف قدر؟ وكيف خلق؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا» [عقيدة الإمام ابن قتيبة ١٣٤، ١٣٩، وينظر العلو ١٤٥ ومختصره ٢١٦].

استنكار تعطيل أو تأويل أهل الزيغ والضلال

لصفات الله تعالى:

ومما يفيد إجماعهم على استنكار تعطيل أو تأويل أهل الزيغ والضلال لصفات الله تعالى، أو القول فيها بالتفويض، ما جاء عن أبي عبد الله شريك القاضي (ت ١٨٨) فيما حكاه عنه عباد بن العوام قائلاً: «قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا)، و(إن أهل الجنة يرون ربهم)، فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، ثم قال: أما نحن فاخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة، فهم عمن أخذوا» [العلو ص ١٠٨ ومختصره ص ١٤٩، وينظر التوحيد لابن منده ٣/ ١١٦، ٣٠٦ والصفات للدارقطني ص ٧٣ والصفات للبيهقي ص ٦٠٧ والمعارج ١/ ٢٧٢].

منها، ولا نفسرهما - يعني تفسيراً يُخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل أتباع جهم - ولا نكيفها، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل، ونفسر ما فسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضييون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا عليه، ونمسك عما أمسكوا عنه، ونسلم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية، والملاحدة والمجسمة، والمشبهة والكرامية والمكيّفة، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة» [اجتماع الجيوش ص ٦٢-٦٤، وينظر العلو ص ١٥٢، ١٥٣ ومختصره ص ٢٢٦، ٢٢٧].

البريهاري وقول مسدّد في عقيدة السلف:

وقد ذكر البريهاري - إمام أهل السنة في عصره (ت ٣٢٩) - أن «أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية، حتى كان في خلافة بني العباس تكلمت الروبوضة في أمر العامة.. وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم، فدخل في قولهم الجاهل والمغل، والذي لا علم له؛ حتى كفروا من حيث لا يعلمون فهلك الأمة.. إلا من ثبت منهم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولم يتخط أحداً منهم ولم يجاوز أمرهم ووسعه ما وسعهم» [شرح السنة للبريهاري ص ٥٥ باختصار].

دُرر من كلام أئمة أهل السنة في العقيدة الصافية:

وقال الإمام أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني (ت ٤٢٢) في رسالته: «لا نقول كما قالت الجهمية: إنه تعالى مُدَاخِلٌ للأمكنة، وممازج بكل شيء، ولا نعلم أين هو؛ بل نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» [الحديد: ٤] فهذا الذي قلناه، هو كما قال الله وقال رسوله» [العلو للذهبي ص

١٧٧، ١٧٨ ومختصره ص ٢٦٣]. ونذكر من كلام أئمة أهل السنة في ذلك أيضاً ما جاء عن الحافظ أبي عمرو الطلمنكي (ت ٤٢٩) في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول قال: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) [طه/٥]: إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يُسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق.. فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سُئلوا ما حملهم على هذا الزيف؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه. قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خُوطبنا بها؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بانفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض.. ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، فنسألهم اتقولون: إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعاكم أن يكون مشبهاً للموجودين، وإن قالوا: موجود، ولا يوجب الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فذلك هو في سائر الصفات» [العلو ص ١٧٨، ١٧٩ والصواعق ص ٣٨٥]. وما جاء عن الإمام الجويني (ت ٤٣٨) في نصيحته التي أعلن فيها رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة: «ليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض... فما يلزمونا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، تلزمهم به في هذه الصفات في الغرضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه من عوارض الجسم فيها، فذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا

فيها إلى التشبيه سواء بسواء.

ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف - يعني عن معرفة المعنى.. وهذا مراد الله منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرّفنا هذه وأولّناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية [النصيحة ص ٤٠: ٤٣، وينظر مختصر العلو ص ٢٩: ٣١].

وما جاء أيضاً عن حافظ المغرب أبي عمر يوسف ابن عبد البر (ت ٤٦٣)؛ حيث ذكر في جواب له أن: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم يكتفوا شيئاً من ذلك، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يجعلون منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه»، وقد نقله عنه الذهبي وابن قدامة وابن القيم وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري وابن تيمية في (نقض أساس التأسيس) [التمهيد ٤/ ٥٦ والعلو للذهبي ص ١٨٢، والصواعق ص ٣٨٥، واجتماع الجيوش ص ٤٨، والفتح ١٣/ ٣٤٦، ونقض أساس التقديس ص ١١٤].

ومن كلام أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥) في كتابه الحجة في بيان المحجة ٢/ ٥٠٥ - وبعد ذكره لصفات المجيء واليمين والنفس، والإتيان واليدين، والاستحياء، والدنو والتجلي، والوجه والقدم، والقهر والمكر وغير ذلك مما ذكر الله في كتابه، وكذا ما ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار مثل قوله: (خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده، و(ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا)، وغيره الله تعالى وفرحه بتوبة عبده، واحتجابه برداء الكبرياء، وكلنا يديه يمين) وحديث القبضة والحيثيات، ونظرتة

إلى قلب المؤمن، وغير ذلك مما صح عنه وثبت، قال: «على العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف ويؤمره على ما أمروا ويقف حيث وقفوا، لا يقول كيف؟ ولم؟، يقبل ما قبلوه، ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية.. هذا مذهب أهل السنة وما وراء ذلك بدعة وفتنة».

وقد حكي الإمام الذهبي (ت ٧٤٨) موافقة مقالة أهل الكلام من الأشاعرة لمقالة الجهمية، ورد أهل السنة عليهما، فقال: «مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله عز وجل في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا)، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.. ومقالة الجهمية: (أن الله تبارك وتعالى في جميع الامكنة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه.. ومقالة متأخري المتكلمين: (أن الله تعالى ليس في السماء، ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزّه عن الجسم).

قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك، ونقول ما ذكرناه، اتباعاً للنصوص وإن زعمتم.. ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوك نعوت المعدم، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه، موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف) [العلو ص ١٠٧ ومختصره ص ١٤٦، ١٤٧].

ونكتفي هنا بهذا القدر لنستكمل في الحلقة القادمة - بمشيئة الله تعالى - الحديث عن المزيد من كلام أئمة الهدى، في استهجان ما آل إليه أمر أولئك المتأولة من الجهمية، وممن كان على شاكلتهم ممن خالفوا مذهب أبي الحسن الأشعري، ويدعون لأنفسهم شرف الانتساب إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدمة في فقه النوازل

د. محمد يسري

إعداد

الحلقة الثالثة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

نواصل الحديث عن ثمرات دراسة فقه النوازل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثانيًا: من ثمرات دراسة فقه النوازل بالنسبة للمجتمع المسلم:

١- تقوية الأمة وتعميق الإيمان:

تعاني مجتمعاتنا الإسلامية اليوم من حالة من الهزيمة النفسية، ويتعرض كثير من أبناء الأمة لحملات تشكيك منظمة، تهز كيانهما الفكري والثقافي، علاوة على انهيار حضارة مادية زائفة، وتبعية شبه مطلقة، حتى بات الكثير من أبناء الأمة يجد غضاضة في نفسه من تطبيق تعاليم دينه أو إظهار شعائر عبادته وعبوديته لله تعالى.

ولاشك أن العناية بمتغيرات العصر، وملاحقة تطوراتها، وإبداء الرأي الشرعي في حديث مخترعاته، وجديد تقنياته مما يسهم في إعادة الثقة إلى نفوس متذبذبة، وتقوية الإيمان في قلوب ضعيفة، وزيادة للإيمان في قلوب واثقة.

إن الجامعات الإسلامية ومراكز البحوث والمجامع الفقهية ودور الفتوى في العالم الإسلامي رصيد هائل وطاقة ضخمة، وهي تملك من البحوث والدراسات العلمية الجادة في مختلف المجالات، والكفاءات النادرة المتخصصة في الجوانب الشرعية والواقعية كافة، مما يجعلها مدعوة إلى العناية بقضايا النوازل، وإصدار بحوثها حولها، ومن ثم الإسهام بشكل مباشر في تقوية المجتمع المسلم من خلال العناية بنوازل المعاصرة، وهذه معاصرة مطلوبة في كل ميدان، فلا يخلو باب من أبواب الفقه غالباً إلا ومنه مسائل تحتاج إلى اجتهاد أو تجديد لا يكاد المتأمل.

ويمكن القول بأن فقه النوازل لا يزدهر إلا في المجتمعات المتحضرة، حيث تزداد قيمة العمل، ولا يخشى أحد من إبداء الرأي، ومن جهة أخرى فإن تلك المجتمعات تشهد غالباً تحولات اجتماعية كبيرة من شأنها أن توجد نوازل جديدة في مجالات الحياة كالتجارة والصناعة وفي الأعراف الاجتماعية والتقاليد.

ولعل الاجتهاد في العصر الحاضر الزم من عصور مضت، ولذلك لكثرة النوازل، وتعدد المسائل، وتطور الحياة بشكل سريع، وبعد عن أجواء الانضباط

بالشرعية، وقيام تحدي الأنظمة الوضعية.

٢- سد حاجة المسلمين لمعرفة حكم الله في النوازل:

إن عناية الفقيه المجتهد مصروفة بلا شك إلى إدراك الحكم الشرعي لأفعال المكلفين، سواء تعلقت هذه الأفعال بعبادات محضة كالصلاة والحج أم تعلقت بالعقود والمعاوضات أو النكاح والطلاق، أو السياسة الشرعية والقضاء.

فمن الطبيعي إذن أن يلجأ المسلمون إلى علمائهم المفتين لاستجلاء أحكام الدين في كل ما يتعلق بالحياة وأفعال الأحياء، وهذه الأحكام قد تختلف باختلاف القيم الاجتماعية السائدة والأعراف، والفقيه النوازلي يحتاج إلى إدراك هذه المتغيرات جميعاً، حتى يكون لسان صدق يعبر عن قدرة الفقه الإسلامي على مواكبة هذه المتغيرات في الحياة الاجتماعية، كمجتمعات الحضارة المتقدمة تختلف ولا بد عن مجتمعات البداوة، وهو مطالب بأن يري ظروف الزمان والمكان في كل حال.

ثالثًا: ثمرته بالنسبة للفقيه المجتهد:

١- إذا كان مقصود المسلم من الطاعات وأعمال البر هو مرضاة الله وتحصيل الثواب، فلا شك أن الاشتغال بالشرعيات في الجملة ميدان رحيب لكسب الحسنات وتحصيل الخيرات، والمشتغل بالنوازل الفقهية درساً وبحثاً من أعلى العلماء رتبة، وأجلهم قدراً، وأكثرهم أجراً.

ففي الحديث: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» فإن غني هذا الفقيه المجتهد -بعد بحث النازلة ودرسها والإفتاء فيها- بالتعليم فله أجر نشر العلم، وهذه درجات من الثواب، بعضها فوق بعض.

٢- إن الاشتغال ببحث النوازل ودراسة المسائل المستجدة يدور حكمه بين فرض العين على الفقيه المجتهد وفرض الكفاية، والقيام بهذا الفرض العيني أو الكفائي أداء للأمانة التي حملها الله تعالى أهل العلم فقد أخذ تعالى الميثاق على العلماء ليبينوا الأحكام الشرعية، ولا يكتموها، والتكليف بهذه الأمانة منحصر فيهم، لقيام أهليتهم، واكتمال ألهم الشرعية لاستنباط أحكام النوازل الفقهية، فكان لزاماً أن يتصدى المتأهلين من الفقهاء والمجتهدون من العلماء لهذا الواجب، إبراءً للذمة، وطلباً للمعززة عند الله تعالى.

دعوة الجمعية العمومية العادية للانعقاد

يوم السبت ٢٠/٤/٢٠١٣م

بمشيئة الله تعالى تقرر فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الإدارة لعام ٢٠١٣-٢٠١٤م، وذلك اعتباراً من الأحد ٦/١/٢٠١٣م وحتى يوم الثلاثاء ١٥/١/٢٠١٣م. تقدم طلبات الترشيح للعضوية خلال هذه المدة يومياً من الساعة العاشرة صباحاً إلى الثانية ظهراً، بمكتب الأمين العام مشفوعة بصورة معتمدة من محضر مجلس الإدارة بالفرع لترشيح المتقدم للعضوية ممثلاً عنه. ويشترط أن يكون العضو المرشح من أعضاء مجلس إدارة الفرع، وقد مر على عضويته بالمجلس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات. على أن يتضمن طلب الترشيح ما يلي:

الاسم رباعياً، تاريخ ومحل الميلاد، محل الإقامة، المؤهل والوظيفة، صفة العضوية في مجلس إدارة الفرع، رقم التليفون، صورة بطاقة الرقم القومي. ويشترط أن يقدم طلب الترشيح بمعرفة المرشح شخصياً أو بتوكيل رسمي عنه. والله الموفق والمستعان، وجزاكم الله خيراً.

الأمين العام
أحمد يوسف

تهنئة واجبة

حصل الباحث / طلحة زكريا حسيني، على درجة الماجستير بتقدير عام جيد جداً من كلية القرآن الكريم والقراءات بجامعة الأزهر بطنطا في رسالة بعنوان «القراءات والقراءات في القرن السابع الهجري» تحت إشراف: أ.د. مروان محمد شاهين و أ. د. سامي عبد الفتاح هلال عميد الكلية، وقام بمناقشة الباحث كل من: أ.د. سعيد صوابي، أ.د. عرفات محمد عثمان.

وذلك يوم ١٢ صفر ١٤٣٤هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢م. وأسرة تحرير مجلة التوحيد ومجلس إدارة المركز العام يتقدمون بأخلص التهاني للباحث الحبيب، متمنين له دوام التوفيق.

رئيس التحرير

مفاجأة سارة

الآن



موسوعة التوحيد ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدِّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُرَكَّب من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفرع والمشاركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيهاً فقط



23936517



١٤٣٣